

الغـزالـى

رحمه الله

دراسة نصية للدكتور

السيد محمد عقيل بن على المهدلى

دار الحديث

قواعد العقائد في التوحيد

الطبعة الثانية



طبع . نشر . توزيع

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون ٥١١٦٥٠٨ - ٥٩١٨٧١٩ / ٥٩١٩٦٩٧ فاكس ٥٩١٩٦٩٧ تلكس ٩٢٩٨٥

قواعد العقائد في التوحيد

للإمام حجة الإسلام

الغزالي

رحمه الله

دراسة نصية للدكتور

السيد محمد عقيل بن علي المهدلي



القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه :

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين على أمور الدنيا والدين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين وصحابته المهديين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فالدراسات النَّصية فى العالم الإسلامى وخاصة فى مجال الدراسات الإسلامية فى التفسير والحديث والعقيدة والفقه والتصوف وغيرها ليست حديثة لقد كانت هذه الدراسات معروفه عند القدماء وكانوا يدرسون العلوم الإسلامية بقراءة كتب وسماعها من مشايخهم فلا يستغنون ابدًا عن الكتب والمشايخ أثناء دراساتهم. ولكن بعد مرور الأيام والشهور والسنوات وبعد تطور الدراسات ومناهجها وخاصه ما نسميها فى الدراسات الجامعيه بالمحاضرات بدأت هذه الدراسات النصية تقل حتى أصبحت مرغوبة عنها فى بعض الدول الإسلامية لأسباب منها أن منهج الدراسة فيها قد يملُّ الدارسين الذين لهم رغبة غير قوية فى طلب العلم بهذا المنهج لأن مدة الدراسة فيها قد تطول أكثر من الدراسات بنظام المحاضرات. والدراسات فيها مقيدة بنصوص الكتب المختارة لدراستها وبعض الطلبة لا يرغبون فى التقيد بأى قيد ويفضلون الانطلاق فى الاطلاع على أى كتاب يشاءون قراءته. والدراسات النصية تحتاج إلى مشرف يشرف على الطلبة فى القراءة وإرشادهم حتى يفهموا كيفية قراءة كتب التراث وهذا امر ليس سهلا فى التطبيق لأن الطلبة لا يواجهون صعوبة واحدة فقط بل يواجهون صعوبات منها: قةاءه النصوص بالإعراب الصحيح وهذه تحتاج إلى فهم علم النحو وقراءتها بالأوزان السليمة وهذه تحتاج إلى معرفه علم الصرف، بعد ذلك ينتقل الطلبة إلى موضوع فهم النصوص التى قد كتبت بالاصطلاحات الخاصة قد يصعب على الطلبة فهمها بدون مساعدة مدرس النصوص. هذه الأمور التى ذكرنا سلبياتها فى الدراسات النصية

ليست مانعـة لبعض الطلاب المجدين فى دراساتهم النصيـة لأنهم وجدوا بعد تخرجهم أن هذه الدراسات تنفعهم كثيراً فى فهم كتب التراث بخلاف الطلبة الذين لم يتعلموا بهذا المنـهج ولم يقرأوا كتب التراث أمام مدرس خبيـر فيها يواجـهون صـعـوبات لفهـم نصوص هذه الكتب. بـالإضافـة إلى ذلك أن الدراسات النصيـة تُكْسِب الطلبة المهارة فى القراءة فى الـنصوص القديمة وإذا قرأوا مؤلفات المعاصرين لا يجدون صعوبة فى قراءتها وفهمها.

إن علاقـات الدراسات الإسـلامية المعـاصرة بكتب التـراث وثيقـة جدًا لا تستغنى عنها أبدًا ، لذلك لا بد من دراستها والاهتمـام بها حتى نستفيد منها ما ينفعنا فى الدراسات الإسلامية المعـاصرة. بناء على أهمية كتب التراث أمام الدراسات المعاصرة قرر المعهد العـالى للدراسات الإسلامية بروناى دار السلام قراءة كتب التـراث ودراستها وفـهم معانيها على طلابه فـى المراحل الدراسية كلها ليتمكنوا من الاستفادة فى دراساتهم الإسلامية منها. وفى مجال العقيدة الإسلامـية قد اخـترنا مؤلفـات الغزالى لتكون الدراسات النصـية فيـها على الطلبة، ففى السنة الأولى اخترنا كتاب قواعد العقائد فى التوحيد دراسة نصية للطلبة وفى السنة الـثانية اختـرنا كتاب الرسالة الـقدسية، وفى السنة الثـالثة اخترنا كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد.

لقد قمنا بشرح كتاب قواعد العقائد فى التوحيد تسهيلاً لليلبة لفهم مقاصد هذا الكتاب واعـتمدنا فى الشرح علـى المصادر والمراجع المتعلقة بموضـوعات الكتاب. ومما لا شـك فيه أن هذا الشـرح بعيد عن الكـمال وغيـر خال عن الأخطاء وهو فى حقـيقته ليس إلا مـحاولة متواضـعة لتقديم المسـاعدة على الطلبة فى دراساتهم النصية فى مجال العقيدة.

أسأل الله الكريم أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم ونافعًا لى وللطلبة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بروناى دار السلام فى
٧ من ذى القعدة١٤١١هـ
٢١ من مايو ١٩٩١م.

الفقير إلى ربه العلى
الدكتور السيد محمد عقيل بن على المهدلى الحسينى

الفصل الأول

أهمية

الدراسات النصية فى الدراسات الإسلامية

مفهوم الدراسة النصية:

النص مأخوذ من : نص على الشيء ينص نصًا: عينه وحدده، ويقال: نصوا فلانا سيّدا: نصبوه، ونص الشيء: رفعه وأظهره، يقال: نصت الظبية جيدها، ويقال: نص الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدث عنه[١]، هذا فى المتعدى وفى اللازم يقال: نص الشيء: ظهر[٢]. قال الشريف على بن محمد الجوجانى: النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى فى المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذى يفرح بفرحى ويغتم بغمى كان نصًا فى بيان محبته. وقال : النص ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، وقيل : ما لا يحتمل التأويل[٣]. وورد فى المعجم الوسيط أن النص صيغة الكلام الأصلية التى وردت من المؤلف. والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا أو لا يحتمل التأويل، ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النص جمع نصوص. وعند الأصوليين: الكتاب والسنة[٤]. والمعنى المناسب لكلمة "النص" فى هذه الدراسة هو صيغة الكلام الأصلية التى وردت من المؤلف فالدراسة النصية معناها قراءة نصوص فى كتاب من كتب العلماء من القدماء خاصة لحفظها وفهمها. لذلك يحتاج هذا النوع من الدراسة إلى

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ٢، ص٩٢٦.

(٢) المنجد، ص٨١٠.

(٣) الشريف على بن محمد الجوجانى، كتاب التعريفات، ص٢٤١.

(٤) مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، نفس المكان.

اختيار نص معين تكون الدراسة النصية مركزة فيه، وقد يكون النص المختار عبارة عن كتاب من الكتب القديمة فى علم من العلوم وعلى سبيل المثال كتاب "قواعد العقائد فى علم التوحيد" من كتب الإمام حجة الإسلام محمد ابن محمد الغزالى. بالإضافة إلى ذلك يحتاج لى وقت طويل واهتمام بالغ لفهم مقاصد المؤلف. لقد كانت الدراسات النصية عند القدماء تستغرق شهورًا أو سنوات فى العلوم الإسلامية خاصة فى التفسير والحديث والفقه والتصوف والعلوم العقلية من المنطق والفلسفة والأدب. لقد كانت هذه الدراسة منتشرة فى البلدان العربية وغير العربية وكانت مشهورة فى الأزهر الشريف وقبل التطوير وكذلك فى الجزيرة العربية فى الحرمين الشريفين خاصة كانت العلوم الإسلامية تدرس بهذا المنهج فيهما وبدأت تقل بعد تطبيق نظام المحاضرات فى الجامعات.

أهمية الدراسة النصية:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى إيجابيتها فى الدراسات الإسلامية بالنظر اليها من جوانب كثيرة أهمها:

١-إيجاد العلاقة المباشره بين المدرس والدارس ويستطيع المدرس بهذه العلاقة إرشاد الدارس فى تصحيح القراءة والفهم ومعرفة أسرار اللغة العربية ودقتها. ويستطيع بجانب ذلك معرفة مستوى الدارس العلمى فيسهل له تقديم الإرشادات المناسبة لرفع مستواه العلمى. وإذا كانت الدراسة فى الحديث النبوى الشريف يستطيع الدارس أن يحصل على الأسانيد من المدرس صاحب الأسانيد المسلسلة إلى النبى ﷺ.

٢-كسب المهارة الخاصة لقراءة النصوص القديمة، لأن قراءة هذه النصوص ليست سهلة تحتاج إلى إرشاد من أستاذ ذى خبرة فى هذا المجال.

٣-فهم أساليب ومناهج الكتابة عند القدماء لأن أساليبهم ومناهجهم فى الكتابة تختلف عن أساليب ومناهيج المحدثين. ونستطيع بهذا الفهم معرفة

مقاصدهم وتقدير أعمالهم تقديراً صحيحًا لأن لكل زمان أساليبه ومناهجه.

٤-معرفة الاصطلاحات الخاصة التى استعملها المؤلف فى كتابه وهذا مهم للدارس الجديد لأن معرفة هذه الاصطلاحات تُسَهِّل له معرفة العلم المطلوب.

٥-معرفة المعلومات الهامة من مصادرها الأصلية أو الأولى، وهذا مهم جدا للباحثين عند نقل معلومات إلى أبحاثهم العلمية. لأن نقل المعلومات عن المصادر الأولى يختلف عن نقلها من المصادر الثانية من حيث صحة المعلومات وتقديرها العلمى فى الدراسة.

بجانب هذه الإيجابيات للدراسات النصية في الدراسات الإسلامية لا شك أن هناك سلبيات فيها ولا حاجة إلى ذكرها فى هذه المناسبة. أسباب اختيار كتاب "قواعد العقائد" فى التوحيد للدراسة النصية، اختيار نص من النصوص لدراستها، أو كتاب من الكتب لقراءتها يرجع إلى أسباب اختيارنا كتاب" قواعد العقائد في التوحيد" لدراستنا النصية لأسباب منها:

١- أهمية هذا الكتاب فى الدراسات الكلامية على عقيدة أهل السنة لأنه أساس الدراسات فى العقيدة الإسلامية، وهو صالح للصغار والمبتدئين فى العقيدة، بعد ذلك ينتقل الدارس إلى كتاب "الرسالة القدسية فى قواعد العقائد"، ثم إلى دراسة كتاب" الاقتصاد فى الاعتقاد"، وليس بعد هذه الكتب دراسة إلا كتب المتخصصين فى الدراسات الكلامية.

٢- معرفة الاصطلاحات الأساسية فى علم الكلام، لأن الغزالى ذكر فى هذا الكتاب اصطلاحات كلامية هامة لا يستغنى عنها الدارس لفهم علم الكلام.

٣- معرفة منهج الغزالى فى الكتابة والتعليم، لأن الغزالى وضع كتبه الكثيرة بمناهج مختلفة، فظن بعض الناس أنه متناقض فى كتاباته، والأمر ليس كذلك لأن الغزالى كتب بناء على مستوى الطلاب والدارسين فى أيامه. بهذه المعرفة نستطيع أن نقدر أعمال الغزالى تقديرًا صحيحًا بعيدًا عن سوء

الظن بأفكاره وعلومه النافعة.

هذه من الأسباب التى ذكرناها فى اختيار كتابه" قواعد العقائد فى التوحيد" ونكون بهذا الاختيار على اتصال مباشر بالإمام الغزالى رحمه الله تعالى علميًا وفكريًا بإذن الله تعالى.



الفصل الثانى

تعريف كتاب

قواعد العقائد فى التوحيد

تعريفًا لهذا الكتاب نقدم نقاطًا كالآتية:

١-الإسم:

اسم الكتاب كما هو وارد فى القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى: "قواعد العقائد فى التوحيد"(١)، ولم نجد من الباحثين من يذكر بالعبارة المذكورة" والإسم الذى يذكرونه "قواعد العقائد" ذكره العلامة السيد محمد بن محمد الحسينى الزبيدى فى كتاب" إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين"(٢)، وكذلك الأب موريس بويج فى كتابه" بحث فى الترتيب التاريخى لمؤلفات الغزالى" ذكره فى الترتيب السابع والعشرين(٣)، والدكتور جميل صلبيا والدكتور كامل عياد وضعاه فى الترتيب الرابع والعشرين فى دراساتهما عن آثار الغزالى(٤).

وهناك إسم آخر قريب من الإسم المذكور هو" الرسالة القدسية فى قواعد العقائد" ذكره الإمام الغزالى فى الإحياء(٥).

---

(١) مكتبة الجندى، القصور العوالى، جـ٤، ص١٤٧.

(٢) العلامة السيد محمد الحسينى، إتحاف السادة، جـ١، ص٤٢.

(٣) الدكتور عبد الرحمن بدوى، مؤلفات الغزالى، ص١٦ (التصدير).

(٤) الدكتور جميل صلبيا والدكتور كامل عياد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذى العزة والجلال (تحقيق وتقديم)، ص٥٣.

(٥) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، ص١٠٤.

أمام هذه الأسـماء قد يسـأل أحد الدارسين: هل هذه الأسـماء تدل على كتاب واحد أم تدل على أكثر من كتاب؟.

قبل أن نجـيب على هذا السؤال، نقـدم أولاً رأى الدكتـور عبـد الرحمن بدوى الذى اهتم كثيـراً بمؤلفات الغزالى، قال: ' الرسالة القدسـية فى قواعد العقائد"="قواعد العقـائد" . . وتسمى بالعنوانين المذكورين، والأول يشير إلى أنها ألفت فى القـدس وقد سمـاها الغزالى نفسـه فى كتابه "الإحـياء" باسم "الرسالة القدسيـة فى قواعد العقائد" وهى قسم من كـتاب" الإحياء" وهو "كتاب قواعد العقائد"[ص ٦٧-ص ٩٤]، لكنها أفردت على حدة منذ زمن بعيد لعله يرجع إلى عهد الغزالى نفسه وبإشـارة منه. بدليل أن الغزالى يشير إليها مفردة فـقد أشار اليهمـا فى "رسالة إلى أبي الفتح أحمـد بن سلامة الدممى" وهى المسماة باسم "الـرسالة الوعظية" ص ١٥٩ ("الجواهر الغـوالى" القاهرة سنة ١٣٤٣)، وفى "التهافت" (ص٧٨ س ٦ من نشرة بويج) [١]. يبدو من هذا الرأى أن كتاب قواعد العقائد هو نفسه "الـرسالة القدسية فى قواعد العقائد" وقد أكد الدكتور عبد الرحمن بدوى رأيه بقوله: ومن العجيب أيضًا أن بويج جعل رقمين مختلفين "للرسالة القدسيـة فى قواعد العقائد" و "قواعد العقائد" وهما كتاب واحد[٢].

والحقـيقة ليس الأمر كـذلك، ولكن الرسالة القدسـية فى قواعد العـقائد فـصل من فصـول كتـاب قـواعد العـقائد كـمـا ذكر الغـزالى فى الإحيـاء كالآتى، قال: كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: فى ترجمة عقيدة أهل السنة . . .

الفصل الثانى: فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد.

الفصل الثالث: فى لوامع الأدلة للعقـيدة التى ترجـمناه بالقدس (المراد به

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوى، المرجع المذكور، ص٨٩.

(٢) نفس المرجع، ص ٩٠.

الرسالة القدسية فى قواعد العقائد)·

· **الفصل الرابع: فى الإيمان والإسلام...**[١]

وكتاب "قواعد العقائد فى التوحيد" هو الفصل الأول لكتاب قواعد العقائد المذكور فى الإحياء وسماه الغزالى باسم" ترجمة عقيدة أهل السنة"· وهذا بعد كتابة الإحياء، وأما قبل الكتابة فكان كتاب" قواعد العقائد فى التوحيد" مستقلاً؛ وكذلك الرسالة القدسية فى قواعد العقائد كانت مستقلة وقد ضمهما الإمام الغزالى إلى إحياء علوم الدين تحت اسم" كتاب قواعد العقائد" مع الفصلين الآخرين وهما الفصل الثانى فى: وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد، والفصل الرابع فى: الإيمان والإسلام· وفى الفصل الأول وضع ترجمة عقيدة أهل لسنة أو قواعد العقائد فى التوحيد، وفى الفصل الثالث وضع الرسالة القدسية فى قواعد العقائد· لذلك جعل بعض الباحثين كتاب "قواعد العقائد" فى التوحيد مستقلاً فى دراستهم عن مؤلفات الغزالى وخاصة موريث بويج الذى بذل جهده فى دراساته لمعرفة الترتيب التاريخى لمؤلفات الإمام الغزالى وذكر أن كتاب" قواعد العقائد فى التوحيد" مكتوب قبل الإحياء ولم يذكر فى دراساته هذا الاسم كاملاً وذكره بسم"قواعد العقائد "بدون"فى التوحيد" وهذا لا يدل على أن" قوعد العقائد" ليس هو كتاب"قواعد العقائد فى التوحيد"·

وقبل ذلك، كتب العلامة السيد محمد بن محمد الحسينى الزبيدى مؤلفات الغزالى وذكر كتاب قواعد العقائد مستقلاً فى حرف القاف وذكر كتاب "الإحياء" مستقلاً، وكذلك الرسالة القدسية فى قواعد العقائد ذكرها مستقلة فى حرف الراء·

واذا لاحظنا نسخة كتاب "قواعد العقائد فى الوحيد" فى القصور العوالى ونسخة" ترجمة عقيدة أهل السنة" فى الإحياء، نجد فيهما اختلافاً قليلاً وعلى

(١) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، ص٨٩ - ١١٥.

سبيل المثال قال الغزالى فى كتاب" قواعد العقائد" فى الإحياء: الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الإسلام فنقول وبالله التوفيق[١]، وهذه العبارة غير موجودة فى" قواعد العقائد فى التوحيد"، وفى آخر الفصل الأول قال: فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار [٢]، قال فى" قواعد العقائد فى التوحيد": فكل ذلك مما وردت به السنة وشهدت الآثار [٣]. وسنذكر البقية فى الشرح بإذن الله. والاختلاف بين النسختين ليس جوهريًا فلا يغير المعانى التى قصد إليها الغزالى وإنما هو شكلى فقط. وكتاب" قواعد لعقائد فى التوحيد" هو نفسه" ترجمة عقيدة أهل السنة" فى الفصل الأول من كتاب" قواعد العقائد" فى الإحياء. و" الرسالة القدسية" التى جعلها الغزالى الفصل الثالث من كتاب " قواعد العقائد" هى نفسها لوامع الأدلة للعقيدة المترجمة لأهل القدس.

٢-نسبة الكتاب إلى الغزالى:

بناءً على المعلومات المذكورة عن أسماء كتاب " قواعد العقائد فى التوحيد" نقول: إن هذا الكتاب من مؤلفات الغزالى وإن ذكره بعبارته فى الإحياء أقوى دليل على صحة نسبته إلى الغزالى.

٣-اهتمام العلماء بالكتاب:

اهتم العلماء بكتاب" قواعد العقائد" اهتمامًا بالغًا وقد شرحه السيد ركن الدين الاسترابادى والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشروانى[٤]، وشرحه كذلك العلامة السيد محمد بن محمد الحسينى الزبيدى وقال: " وذكر أنه قرأ الخطبة والعقيدة حتى وصل إلى قول الغزالى فى العقيدة وأنه تعالى بعث النبى الأمىّ محمدًا ﷺ إلى كافة العرب والعجم والإنس والجن. قال: فلما بلغت إلى هذا رأيت البشاشة والبشر فى وجهه ﷺ، قال: فالتفت إلىّ

---

(١) الغزالى، المصدر السابق، ص٨٩. (٢) نفس المصدر، ص٩٣.

(٣) الغزالى، قواعد العقائد فى التوحيد (القصور العوالى، جـ٤، ص١٥٤).

(٤) العلامة السيد محمد الحسينى الزبيدى، المصدر السابق، ص٤٢.

وقال: أين الغزالى؟ فإذا بالغزالى كأنه واقف على الحلقة بين يديه فقال: ها أنا يا رسول الله، وتقدم وسلم على رسول الله ﷺ فرد عليه الجواب وناوله يده العزيزة والغزالى يقبل يده ويضع خديه عليها تبركًا به وبيده العزيزة المباركة ثم قعد قال: فما رأيت رسول الله ﷺ أكثر استبشارًا بقراءة أحد مثل ما كان بقراءتى عليه قواعد العقائد ثم انتبهت من النوم وعلى عينى أثر الدمع مما رأيت من تلك الأحوال والمشاهدات والكرمات فإنها كانت نعمة جسيمة من الله تعالى سيما فى آخر الزمان مع كثرة الأهواء. فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على عقيدة أهل الحق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

هذه رؤية رآها الامام الغزالى تدل على أن كتاب "قواعد العقائد فى التوحيد" كتاب مباك كتاب بين فيه الغزالى عقيدة أهل السنة وهى عقيدة أهل الحق.

٤-أهمية الكتاب فى منهج الغزالى:

كتاب "قواعد العقائد فى التوحيد" صغير فى حجمه ولكنه كبير فى مادته لأنه تحدث عن عقيدة أهل السنة بكل وضوح بعبارة موجزة ودقيقة فى نفس الوقت. هذا الكتاب هو البداية اللازمة فى درسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة عند الغزالي. لذاك رأى أن ما ذكره فى ترجمة العقيدة (المراد بها كتاب قواعد العقائد فى علم التوحيد) ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أول نشوه ليحفظه حفظًا ثم لا يزل ينكشف له معناه فى كبره شيئًا فشيئًا، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به. وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض. نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى

(١) العلامة السيد محمد الحسينى الزبيدى، المصدر السابق، جـ٢، ص١٧.

الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه [١].

كيفية تقوية هذه العقيدة :

أمام هذه المشكلة وهى ضعف العقيدة عند الصبى والعامى رأى الغزالى أن الطريق إلى تقوية العقيدة فى نفس الصبى والعامى كالآتى، قال: وليس الطريق فى تقويته (الاعتقاد) وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخًا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادة ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسمعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له.. [٢].

بعد ذلك إذا تطورت الدراسة فى العقيدة يقدم إلى الدارس كتاب "الرسالة القدسية" ليكون ذلك سببًا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت البدعة ويخاف عليه أن يخدع. فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال وثارت فى نفسه شبهة... فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب "الاقتصاد فى الاعتقاد" [٣].

والدراسات الكلامية بعد كتاب "الاقتصاد فى الاعتقاد" تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: بحث عن قواعد العقائد كالبحث عن الاعتقادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الخوض فى الرؤية، هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن بيع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات.

والقسم الثانى: زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة.

---

(١) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، ص٩٣.

(٢) الغزالى، المصدر السابق، ص٩٣ - ٩٤.

(٣) نفس المكان.

وذلك أيضًا استقصاء لا يزيد إلا ضلالاً وجهلاً فى حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضًا [1].

بهذه البيانات تبدو واضحة أهمية كتاب "قواعد العقائد فى التوحيد" ترجمة عقيدة أهل السنة فى منهج الغزلى الكلامى وهى البداية اللازمة لكل دارس جديد فى علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة.



(١) نفس المكان.

الفصل الثالث

نص كتاب

"قواعد العقائد فى التوحيد"

منقول عن

القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ذى العرش المجيد. والبطش الشديد، الهادى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد، بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى ﷺ واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرف إياهم أنه فى ذاته واحد لا شريك له، فردٌ لا مثل له، صمدٌ لا ضد له، منفرد لا ند له، وأنه وحد قديم لا أول له، أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له، أبدىٌ لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال- موصوفًا بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد والآجال، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم.

(التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام فى التقدير ولا فى قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود، ليس كمثله شىء ولا هو مثل شىء، وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه

الأقطار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون ى قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى،بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيه الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد،إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، وأنه بائن من خلقه بصفاته، ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته، وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال فى نعوت جلاله، منزها عن الزوال به وفى صفات كماله، مستغنيا عن زيادة الاستكمال، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإتماما للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم.

(**الحياة والقدرة**) وأنه تعالى حى قادر ، جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت، له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته.

(**العلم**) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بما يجرى فى تخوم

الأرضين إلى أعلى السموات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على لصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم لسر وأخفى ويطلع هواجس الضمائر وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال، لا يعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال

(الإرادة) وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات، فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خبير أو شر، نفع أو ضرر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره، وحكمته ومشيئته، فما شاء كان، وما لم بيشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولاقوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته. فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك، وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته، لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما فى أزله من غير تقدم ولا تأخر، بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل، ولا تغير، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

(السمع والبصر) وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى، ولا يغيب عن بصره مرئى وإن دق، ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدقة وأجفان، ويسمع من غير أصمخة وآذان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق.

(الكلام) وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق - فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو

اصطكاك أجرام، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام، وأن القرآن مقروء بالألسنة، مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب، وأنه مع ذلك قديم، قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض. وإذا كانت له هذه الصفات كان حيًا عالمًا قادرًا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلمًا بالحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام لا بمجرد الذات.

(الأفعال) وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها، وأنه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره، ولا يتصور الظلم من الله تعالى. فإنه لا يصادف لغيره ملكًا حتى يكون تصرفه فيه ظلمًا، فكل ما سواه من إنس وجن، وشيطان وملك، وسماء وأرض، وحيوان ونبات، وجوهر وعرض، ومدرك ومحسوس: حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعًا وأنشأه بعد أن لم يكن شيئًا، إذ كان فى الأزل موجودًا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك[1] إظهارًا لقدرته وتحقيقًا لما سبق من إرادته وحق،[2] فى الأزل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته، وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم ، له الفضل، والإحسان، والنعمة، والامتنان؛ إذ كان قادرًا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب، ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبحًا ولا ظلمًا، وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم، إذ لايجب عليه فعل ولا يتصور

(١) لفظ« ذلك » غير موجود فى نسخة القصور العوالى فوضعناه لسلامة المعنى وفى نسخة «بعد عدمه».

(٢) وفى نسخة «ولما لحق» وفى هذه النسخة «وحق» «ومن ناه» «ولما حق» فالواو حرف عطف.

منه ظلم؛ ولا يجب لأحد عليه حق، وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على لسان أنبيائه (عليهم السلام) [(١)]، لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به، وأنه تعالى بعث النبى الأمى القرشى محمداً ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس؛ فنسخ بشرعه الشرائع إلا ما قرر، وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر، ومنع صحة الإيمان بشهادة التوحيد وهى قول " لا اله الا الله" ما لم يقترن بها شهادة السول وهيى "محمد رسول الله" فألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر به من الدنيا والآخرة، وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يوقن بما أخبر عنه بعد الموت، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان، يقعدان العبد فى قبر سويًا ذا روح وجسد فيسألانه عن لتوحيد والرسالة فيقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك، وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة القبر بعد الموت، وأن يؤمن بعذاب القبر، وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء، ويوقن بالميزان ذى الكفتين واللسان، وصفته فى العظم أنه مثل طباق السموات والأرضين، توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل، وتطرح صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى، وتطرح صحائف السيئات فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى، وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى فيهى بهم إلى النار، وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله [(٢)]، فيساقون إلى دار القرار، وأن يؤمن بالحوض المورود. حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، عرضه السماء فيه ميزابان يصبان الكوثر، ويؤمن بيوم الحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب والى مسامح فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب،

(١) « عليهم السلام » غير مذكورة فى هذه النسخة ومذكورة فى نسخة أخرى.

(٢) « بفضل الله » غير موجود فى هذه النسخة وموجود فى نسخة أخرى.

وهم المقربون فيسأل الله تعالى [١] من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين، ويسأل المبتدعين عن السنة، ويسأل المسلمين عن الأعمال، ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى، ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته، ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله تعالى، ولا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم [٢] ورتبتهم، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم، وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ عليهم أجمعين، فكل ذلك مما وردت به السنة وشهدت الآثار، فمن اعتقد جميع ذلك موقنًا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال والبدعة. فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين إنه أرحم الراحمين، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين [٣].

ملحوظة:

بعد الاطلاع على النسخ لكتاب "قواعد لعقائد فى التوحيد" نجد فيها اختلافات بين نسخة ونسخة أخرى فى بعض لكلمات والجمل ولكنها لا تؤثر فى المعانى والمقاصد التى أرادها الغزالى رحمه الله تعالى فى وضع هذا الكتاب. وسنذكر هذه الاختلافات فى شرح هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.



(١) «الله تعالى» غير موجد فى هذه النسخة وموجود في نسخة أخرى.

(٢) «رضي الله عنهم» هذا الدعاء لا يذكر في هذه النسخة ومذكور في غيرها.

(٣) مكتبة الجندى، القصور العوالى، جـ٤، ص١٤٧ - ١٥٤.

الفصل الرابع

شرح قواعد العقائد فى التوحيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين وآله الطاهرين وصحبه المهديين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد... فهذا شرح لكتاب" قواعد العقائد فى التوحيد" يهدف إلى توضيح بعض المعانى التى يتضمنها الكتاب اعتمادا على أقوال العلماء التى تناسب مستوى طلاب السنة الأولى بالمعهد العالى للدراسات الإسلامية فى بروني دار السلام ووضع فى هذا الشرح قول الإمام الغزالى رحمه الله تعالى بين القوسين حتى يتبين للقارئ المتن من الشرح.

قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم) لقد بدأ الإمام كتابته بالبسملة اقتداء بالقرآن الكريم، ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة تعليمًا لعباده الاقتداء بذلك والإتيان بها فى كل أمر ذى بال[1]. وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم سيدنا محمدًا ﷺ أن يقرأ باسمه فى قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ [2]، فالبسملة مهمة جدًا فى العبادات.

بسم الله تكتب بغير ألف استغناء عنها بباء الإلصاق فى اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله﴿اقرأ باسم ربك﴾ فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال[3]. والباء فى قوله"بسم الله" باء الإلصاق وهى متعلقة بفعل والتقدير: باسم الله أشرع فى أداء الطاعات[4]. وهى كثيرة جدًا من العقائد

(١) الصاوى، حاشية الصاوى على الجلالين، جـ٤، ٧٦٩

(٢) القرآن الكريم، سورة العلق، الآية ١.

(٣) العلامة سليمان بن عمر العجيلى، الفتوحات الإلهية، جـ٤، ص٦١٧.

(٤) الرازى، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، جـ١، ص١٢

والأقوال والأفعال ومعرفتها تحتاج إلى دراسات في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وأقوال الصحابة رضى الله عنهم وأفعالهم وأقوال العلماء وخاصة من أهل السنة والجماعة فى مجال العقيدة والفقه والتصوف وغيرها.

إذا كانت الطاعات كثيرة جداً فالباء فى "بسم الله" متعلقة بها كلها ويكون التقدير على حسب نوع الطاعات، فالتقدير المناسب فى هذا الكتاب أن يقال: بسم الله الرحمن الرحيم أؤلف أو أكتب. وهذا أولى اذ لكل فاعل يبدأ فى فعله ببسم الله يضمر ما جعل التسمية مبدأ له كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله كان المعنى بسم الله أحل أو بسم الله أرتحل ويسمى فعل الشروع: أى الفعل الذى يشرع فيه [١].

المقدر فى الأمثلة المذكورة فعل ويصح أن يكون المقدر مصدراً كابتدائى وأن يقدر كل منهما مقدماً ومؤخراً فيقال:

أؤلف بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم الله الرحمن الرحيم أؤلف

تأليفى بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم الله الرحمن الرحيم تأليفى ولكن تقديره.... فعلا مؤخراً أولى كما فى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ولأنه تعالى مقدم ذاتاً لأنه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكراً [٢].

الاسم واشتقاقه:

قال البصريون هو مشتق من السمو وهو العلو والرفعة، وقال الكوفيون: إنه مشتق من السمة وهى العلامة. فإن من قال الاسم مشتق من العلو يقول: لم يزل الله سبحانه موصوفاً قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم، ولا تأثير لهم فى أسمائه ولا صفاته، وهذا قول أهل السنة. ومن قال الاسم مشتق من السمة يقول: كان الله فى الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماءً وصفات فإذا أفناهم بقى بلا اسم ولا صفة وهذا قول المعتزلة وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة [٣]

(١) الشربينى، مغنى المحتاج، جـ١، ص٣. (٢) نفس المكان.

(٣) أبو عبد الله القرطبى، الجامع لأحكام القرآن، جـ١. ص١٠١٤، الاقتباس بتصرف.

الله: علم دال على الإله الحق دلالة جامع لمعانى الأسماء الحسنى كلها[١]. قال الشربينى: الله علم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد[٢]. هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره ولذلك لم يثن ولم يجمع وهو أحد تأويلى قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سميا﴾ [٣]، أى ما تسمى باسمه الذى هو "الله"[٤]. واختلف العلماء فى أصل هذا اللفظ وتنقسم أقوالهم إلى قسمين:

١- قال بعضهم: اللفظ (الله) غير مشتق.

٢- وقال البعض الآخر: إنه مشتق.

ذهب إلى القول الأول جماعة من العلماء منهم الشافعى وأبو المعالى والخطابى والغزالى والمفضل. وقال الغزالى: وكل ما ذكر فى اشتقاقه وتصريفه تعسف وتكلف[٥]. وقد أيد هذا القول الشربينى بقوله: والحق أنه أصل بنفسه غير مأخوذ من شىء بل وضع علمًا ابتداء. فكما أن ذاته لا يحيط بها شىء ولا ترجع إلى شىء فكذلك اسمه تعالى وهو عربى عند المحققين أنه اسم الله الأعظم، وقد ذكر فى القرآن العزيز فى ألفين وثلاثمائة وستين موضعا [٦].

والقائلون بالقول الثانى رأوا أن لاشتقاقه قولين:

١- أن أصله إلاه على وزن فعال من قولهم: أله الرجل يأله إلاهة أى عبد عبادة ثم حذفوا الهمزة تخفيفا لكثرة وروده واستعماله ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم ودفع الشيوع الذى ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة من دون الله.

---

(١) الجرجانى، المصدر السابق، ص٣٤.
(٢) الشربينو، المصدر السابق، ص٣.
(٣) القرآن، مريم، الآية ٦٥.
(٤) الشربينو، المصدر السابق، نفس المكان.
(٥) الغزالى، المقصد الأسنى، ص٤٨.
(٦) الشربينو، المصدر السابق، ص٤.

٢- أن أصله لاه ثم أدخلت الألف واللام عليه واشتقاقه من لاه يليه إذا تستر كأنه سبحانه يسمى ذلك لاستتاره واحتجبه عن إدراك الأبصار[١].

الرحمن الرحيم: الرحمن فعلان من رحم وهو الذى وسعت رحمته كل شىء كغضبان من غضب وهو الممتلىء غضبا، وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض، وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم لأن فى الرحيم زيادة واحدة وفى الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى، ولذا جاء فى الدعاء يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن. وقالوا: الرحمن خاص تسمية لأنه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا، والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخص المؤمنين...[٢].

الإعراب:

(بسم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف والباء للاستعانة أو الإلصاق وتقدير المحذوف ابتدئ فالجار والمجرور فى محل نصب مفعول به مقدم، أو ابتدائى فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف وكلاهما جيد و(الله) مضاف إليه و(الرحمن الرحيم) صفتان لله تعالى، وجملة البسملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب [٣]. **(الحمد لله)**: الحمد لغة الثناء بالجميل مأخوذ من حمده يحمده حمدًا أثنى عليه [٤]. وقال الجرجانى: هو الوصف الجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده[٥]، وقال العلماء: (الحمد) هو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله. والشكر الثناء عليه بإنعامه، فكل شكر حمدًا وليس كل حمد شكرًا، ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفر [٦].

(١) الأستاذ محيى الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، جـ١، ص٨.
(٢) النسفى، تفسير النسفى، طبع مع الخازن، جـ١، ص١٥.
(٣) الأستاذ محيى الدين الدرويش، المصدر السابق، ص٩.
(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ١، ص١١٦.
(٥) الجرجانى، المصدر السابق، ص٩٣.
(٦) النووى، المجموع شرح المهذب، جـ١، ص٧٤.

الحمد لفظة مفردة دخل حرف التعريف وفيه قولان:

الأول: أنه إن كان مسبوقًا بمعهود سابق انصرف إليه، وإلا يحمل على الاستغراق صونًا للكلام عن الإجمال.

الثانى: أنه لا يفيد العموم إلا أنه يفيد المهية و لحقيقة فقط.

إذا عرفت هذه (الفائدة) فنقول: قوله الحمد له، ان قلنا بالقول الأول أفاد أن كل ما كان حمدًا وثناءً فهو لله وحقه وملكه، وحينئذ يلزم أن يقال إن ما سوى الله فإنه لا يستحق الحمد والثناء البتة، وإذ قلنا بالقول الثانى كان معناه أن ماهية الحمد حق لله تعالى وملك له، وذلك ينفى كون فرد من أفراد هذه الماهية لغير الله، فثبت على القولين أن قوله "الحمد لله" ينفى حصول الحمد لغير الله[1].

اللام فى قوله "الحمد لله" يحتمل على وجو :

أحدها: الاختصاص اللائق كقولك الجل للفرس.

وثانيها: الملك كقولك الدار لزيد.

وثالثها: القدرة والاستيلاء كقولك البلد للسلطان.

واللام فى قوله «الحمد لله» يحتمل هذه الوجوه الثلاثة، فان حملته على الاختصاص اللائق فمن المعلوم أنه لا يليق الحمد إلا به لغاية جلاله وكثرة فضله وإحسانه، وإن حملته على الملك فمعلوم أنه تعالى مالك للكل، فوجب أن يملك منهم كونهم مشتغلين بحمده. وإن حملته على الاستيلاء والقدرة فالحق سبحانه وتعالى كذلك لأنه واجب لذاته وما سواه ممكن لذاته، والواجب لذاته مستول على الممكن لذاته. فالحمد لله بمعنى أن الحمد لا يليق إلا به وبمعنى أن الحمد ملكه، وملكه بمعنى أنه هو المستولى على الكل والمستعلى على الكل[2]. بدأ الإمام الغزالى رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة ثم بالحمدلة اقتداءً بالكتاب العزيز كما تقدم ذكره، وعملاً بحديث:

(١) الرازى، المصدر السابق، ص٢٢٥. (٢) الرازى، المصدر السابق، ص٢٢٥.

كل أمر ذى بـال لا يبدأ فيـه ببسم الله الرحمن الرحـيم فهو أبـتر [١]. قال الحافظ العراقى: رواه أبو داود والنسـائى وابن ماجة وابن حبان فى صحـيحه من حـديث أبى هريرة [٢]، وذكر السيوطى لحديث المـذكور بعبارة: كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحـمن الرحيم أقطع، عبد القادر الرهاوى فى الأربعين عن أبى هريرة [٣].

وحديث: كل أمـر ذى بال لا يبدأ فيـه بالحمد لله أقطع، رواه ابن مـاجه والبيهقى عن أبى هريرة [٤].

ولم يذكـر الغـزالى فى هذه المقـدمة "الصـلاة على النبى ﷺ" كـتـابة والاحتمال الكبير أنه قد ذكرها نطقًا فى بداية كتابته والله أعلم بالصواب.

فقوله "بسم الله الرحمن الرحيم" بمعنى باسـتعانة المعبود بالحق الواجب الوجـود المطلق المبدع للعـالم أؤلف هذا الكتاب، وقـوله "الحمـد لله" وأن الحمـد لا يليق إلا به وأنه يستـحقـه لذاته فهـو حق له وملكه وهو سبـحانه وتعالى الملك للكل، والمستعلى على الكل.

(المبدئ المعيد): المبـدئ اسم فاعل أبدأ بمعنى بدأ يقـال: بدأ الله الخلق وأبدأهـم: خلقهم على غـير مثـال سابق [٥]، والمعيد اسم فـاعل أعاد يقال: أعاده: كـرره. وأعاد الشيء إلى مكانه: أرجـعه [٦]. قال الغـزالى فى شرح هذين الاسـمين: المبدئ.. المعـيـد معناه لموجـد لكن الإيجـاد إذا لم يكن مسبوقًا بمـثله سمى إبداء وإذا كان مسبوقًا بمثله سـمى إعادة، والله تعالى بدأ خلق الناس ثم هو الذى يعيـدهم أى يحشرهم والأشياء كلـها منه بدت وإليه تعود وبه بـدأت وبه تعود [٧]. وقال أبو منصور البغـدادى: أجمع المسلمون على أن الله عز وجل هو المبدء المعيد يبـدأ الخلق ثم يعيده واختلفوا فى تأويل

(١) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، ص٢٠٧.
(٢) العراقـى، المغنى عن حمل الأسـفار فى تخـريج ما في الإحـياء من الأخبـار، طبع مع الإحياء جـ١، ص٢٠٧.
(٣) السيوطى، الجامع الصغير، جـ٢، ص٩٢.
(٤) نفس المكان.
(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم، جـ١، ص٨٢.
(٦) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٦٣٥.
(٧) الغزالى، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص١٢٣.

ذلك فقال الجمهور: يبدأ الخلق بإيجاده أولاً على غير مثال سابق ميعيده بعد إفنائه إياه كما كان قبل الفناء، وعنهم من قال: يبدأ الأبدان ويعيدها تارة بعد تارة توكيداً للحجة[١]. وهما اسمان كريمان من أسماء الله تعالى الحسنى.

وقد ورد هذان الاسمان فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾[٢].

﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ [٣].

(الفعال لما يريد): هذه العبارة مأخوذة من قول، تعالى: **﴿فعال لما يريد﴾**[٤]

اقتبس الغزالى هذه العبارة وجعل "فعال" النكرة معرفة بادخال الألف واللام فيه فصار الفعال وهو صفة لما قبله وصيغة فعال مبالغة تدل على الكثرة، ومعنى الفعال لما يريد كما قال أبو منصور البغدادى: يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه أحد ولا يغلبه غالب، فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء فهو يفعل ما يريد [٥].

(ذى العرش المجيد والبطش الشديد): ذى معناه صاحب ومالك وخالك، وهو من الأسماء الستة التى ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء كما هو المعلوم عند النحاة، «ذى» مجرور بالياء لأنه صفة لله والصفة على المجرور مجرور.

العرش هو فى اللغة سرير الملك، ويسمى فيها أيضًا مجلس السلطان عرشًا اعتباراً بعلوه، ويكنى فى العرف عن السلطان والمملكة بالعرش [٦]، والمراد بالعرش فى هذه العبارة الجسم المحيط بسائر الأجسام سمى به لارتفاعه [٧]،

(١) العلامة السيد محمد الحسينى، إتحاف السادة، جـ٢، ص١٨.

(٢) القرآن الكريم، العنكبوت، الآية١٩. (٣) نفس المصدر، البروج، الآية ١٣.

(٤) نفس السورة، الآية ١٦. (٥) العلامة السيد محمد الحسينى، المصدر السابق، ص١٨.

(٦) الجمل (العجيلى) المصدر السابق، جـ٢، ص١٤٩.

(٧) الحسينى المذكور، نفس المصدر، ص١٨.

قال الجمل: هـو الجسم النورانى المرتفع على، كل الأجسام المحـيط بكلها[١]. وقال الراغب: عرش الله مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم[٢]. المجيد هو الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونواله [٣]، بهذا المجيد هنا اسم من أسماء الله تعالى، فهو صفة لله وليس للعرش. وقيل إنه صفة للعرش والله أعلم.

البطش من بطش يبطش بطشًا على وزن ضرب يضرب ضربًا يقال: بطش به أخذه بعنف [٤]، فالبطش الأخـذ بعنف فإذا وصف بالشدة فقـد تضاعف وتفاقم وهو بطشــه بالجبابرة والظلمـة وأخذهم إياهم بالعذاب والانتـقام [٥]، والشــديد: القـوى وهو صفـة للبطش، فـالبطش الشـديد هو الأخـذ بعنف متضاعف متفاقم.

(الهادى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد) : الهادى فى اللغة المرشـد فيقال: هداه هداية إذا أرشـد، وهو الدليل أيضا، وفى اصطلاح العلماء اسم من أسماءالله تعالى الحسنى قال الغزالى: الهادى هو الذى هدى خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على معرفة ذاته وهدى عوام عبـاده إلى مخلوقاته حتى اسـتشهدوا بهـا على ذاته وهدى كل مخلوق إلى ما لابد منه فى قضاء حاجاته فهـدى الطفل إلى التقام الثدى عند انفصاله والفـرخ إلى التقـاط الحب وقت خـروجه والنحل إلى بنـاء بيتـه على شكل التسـديس لكونه أوفق الأشكال لبدنه إلخ [٦]، الصفوة من كل شىء: صفوه والصفو هو الصـفاء، والصفو من الشىء: خـياره وخالصه ، والعبـيد جمع للعبـد، المنهج بفتح الميم وكـسره والمنهاج بمعنى واحـد وهو الطريق الواضح والجمع مناهج، قد وردت كلمـة منهاج فى القرآن الكريم على هذا المعنى فى قوله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً. [٧]، الرشيد المرشد وهو صفة

---

(١) الجمل (العجيلى)، نفس المصدر والمكان. (٢) الحسينى، نفس المصدر المذكور والمكان.

(٣) الغزالى، المصدر السابق، ص١١٥. (٤) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٦١.

(٥) الجمل (العجيلى) نفس المصدر المذكور، جـ٤، ص٥١٥.

(٦) الغزالى، المصدر السابق، ص١٤٠. (٧) القرآن الكريم، المائدة، الآية ٤٨.

للمنهج، والمسلك هو الطريق والجمع مسالك ، والسديد من السداد وهو الاستقامة والصواب، فالمسلك السديد هو الطريق المستقيم فالمعنى: أنه سبحانه يهدى عباده المختارين إلى الطريق الذى يرشدهم إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام، هذا هو المنهج الرشيد والمسلك السديد.

(المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد) :(المنعم) اسم فاعل أنعم بمعنى أعطى، أنعم عليه بكذا: أعطاه إياه يقال: أنعم الله عليه بمال كثير وصحة وافرة، (بعد) نقيض قبل وهو ظرف مبهم يفهم معناه بالإضافة لما بعده ويكون منصوبًا أو مجرورًا مع (من) وقد يقطع ع الإضافة وهى مفهومة من الكلام فيكون مبنيًا على الضم [1]، (وبعد) هنا منصوب على الظرفية.

(الشهادة) قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة وقد يعبر بها عن الإقرار والبيان والحكم والإعلام ، (والتوحيد) مصدر واحد إذا أوقع نسبة الواحد إلى موضوعه [2]. التوحيد فى اصطلاح هل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور فى الأفهام ويتخيل فى الأوهام والأذهان [3]، (بحراسة): الباء جاء بعد أنعم ليدل على ما أعطاهم الله اياهم فالباء للبيان، الحراسة بكسر الحاء من : حرس يحرس حرسًا وحراسة : حفظه فالحراسة: الحفظ والصيانة ،(العقائد) جمع لعقيدة والمراد بها العقائد الإسلامية التى نزل بها القرآن الكريم وبينها سيدنا محمد ﷺ فى حديثه الشريف وحافظ عليها جماعة أهل السنة والجماعة جيلاً بعد جيل إلى أن تقوم الساعة،(الظلمات) جمع ظلمة وهى ذهاب النور والمراد بها شبهات لمبطلين المضلين. لقد حاول ولا يزال يحاول أعداء هذه العقائد إدخال شبهاتهم فيها حتى التبس أمرها عند المسلمين فلا يفرقون بين ما هو صحيح وما هو فاسد. (التشكيك) من

(١) المعجم الوسيط، جـ١، ص٦٣.

(٢) الحسينى، المصدر السابق، ص١٨.

(٣) الجرجانى، المصدر السابق، ص٦٩.

شككه: أوقعه في الشك، (والترديد) من ردده أي، حوله من صفة إلى صفة وجعله متردداً فلا يثبت على حالة. وإذا وقع الإنسان في التشكيك والترديد فقد وقع في الظلمات وهي الشبهات، لقد وقع بعض المسلمين اليوم فيها.

المعنى: أن الله الكريم قد أنعم على هؤلاء العباد صفوة الخلق بعد نطقهم شهادة التوحيد بألسنتهم وتصديقها بقلوبهم وترجمتها إلى أعمالهم الصالحة حفظ عقائدهم الصحيحة عن شبهات المضلين. هذا الحفظ من أجل نعم الله تعالى في هذه الحياة على المسلمين لأنها سبب إلى السعادة الأبدية في الآخرة.

(السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى ﷺ واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد) : السالك اسم فاعل سلك يسلك سلكًا وسلوكًا، يقال سلك المكان وسلك به وسلك فيه أي دخل ونفذ وسلك الشيء في الشيء أو به أدخله. وسلك به إلى أي صاحبه ورافقه وهداه، فالسالك بهم إلى اتباع الرسول ﷺ أي الهادي لهم إلى العمل بما جاء به ﷺ من العقيدة والشريعة والأخلاق، لأن معنى اتباع القرآن الكريم والحديث الشريف العمل بما فيهما. (والاقتفاء) من اقتفاه أي تبعه واقتفى الشيء: اختاره[1]، وتبع الشيء أي سار في أثره، والأثر هنا سنة الصحابة رضي الله عنهم وجمعه آثار. والصحب جمع ومفرده صاحب، يجمع على الصحب والأصحاب والصحاب، والمراد بالصحب هنا صحب النبي ﷺ الذين تشرفوا بمشاهدة وجهه ﷺ وتلقي الأحكام عنه. وهناك جمع آخر مشهور عند الناس هو الصحابة وهذا الجمع مفرده الصحابي الذي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا ومات على الإسلام[2].

(الأكرمون) : جمع لأكرم وجاء في النص مجرورًا بالياء لأنه جمع المذكر السالم وعلى صيغة التفضيل، والمكرمون جمع لمكرم وجاء في النص

---

(١) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٧٥٢. (٢) نفس المصدر، جـ١، ص٥٠٧.

مجروراً بالياء أيضاً لأنه جمع المذكر السالم وهو اسم مفعول كرَّم وهما صفتان للصحب. ومعنى (المكرمين) المعظمين المبجلين المفضلين بالتأييد والتسديد. (والتأييد) من أيده أى قواه بالإياد (والتسديد) من سدد الله فلاناً أى قومه ووفقه للسداد وهما هداية وتوفيق من الله تعالى للصفوة من الخلق - جعلنا الله الكريم منهم.

(المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد) : (المتجلى) اسم فاعل تجلى من تجلى الشىء: تكشف وبان وظهر، المتجلى لهم أى الظاهر لهم فى ذاته، وظهور الذات هنا ظهور الأفعال فى المخلوقات لأن الله تعالى لا يظهر فى الدنيا ظهور الخلق، لقد طلب سيدنا موسى عليه السلام أن ينظر إلى ربه فقال: .. **﴿قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقاً﴾**.[1]، قال السيوطى: أى ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر فى حديث صححه الحاكم [2]، والمراد بالأفعال هنا الأفعال الظاهرة والباطنة التى ظهرت فيها محاسن أوصافه تعالى، ومحاسن أوصافه تعالى الظاهرة ظاهرة للمفكرين عن طريق الحواس وفى مقدمتها النظر، لقد أمرنا الله أن ننظر إلى هذه المحاسن فقال: **﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾**[3]، ومحاسن أوصافه تعالى الباطنة ظاهرة للمحققين من أهل الحقيقة لقد رأوا إلى المحاسن الباطنة بالبصيرة، لقد أشار الله تعالى إلى هذه الجهة فى قوله: **﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾** [4]، هذه المحاسن لا يدركها إدراكا يليق بكمال الله تعالى إلا الذين لهم قلوب

---

(١) القرآن الكريم، الأعراف، الآية ١٤٣.

(٢) السيوطى، تفسير القرآن العظيم، جـ١، ص١٤١.

(٣) القرآن الكريم، الغاشية، الآية ١٧-٢٠.

(٤) نفس المصدر، الذاريات، الآية ٢١.

واعية متيقظة لتلقى الأسرار الإلهية. وهذا هو المراد بإلقاء السمع مع حضور القلب أى وهو شهيد. ومجال الإدراك هنا فى الأسماء والصفات فقط فلا سبيل لنا إلى معرفة ذاته تعالى. ولقد نبهنا سيدنا محمد ﷺ فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى فقال- فيما رواه ابن عباس رضى الله عنه - : «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره وإن من السماء السابعة إلى كرسيه ألف نور وهو فوق ذلك[1]، وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﷺ: تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله تعالى فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك». رواه أبو الشيخ فى العظمة[2]، وهناك غيرهما من الروايات ذكرها السيوطى فى الجامع الصغير. يشير هذا الحديث إلى أن مجال التفكير للوصول إلى معرفة الله تعالى هو الخلق فقط لأن الإنسان مهما بلغ من العلم لن يقدر قدر الله سبحانه. وإذا حاول أن يتفكر فى ذات الله تعالى فإنه يقع فى أخطاء تؤدى إلى مشكلات عقيدية كبيرة لا يستطيع حلها وقد يصاب بجنون لا شفاء له. لقد ورد فى الحديث عن أبى ذر رضى الله عنه، قال ﷺ: تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا» رواه أبو الشيخ[3].

(**المعرف إياهم أنه فى ذاته واحد لا شريك له**):(المعرف) من عرَّف بمعنى أعلم يقال: عرف فلانًا الأمر أى أعلمه إياه[4]، عرف الله تعالى الإنسان نفسه ببعثة الأنبياء والرسل وإنزال الكتب والصحف ، لقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل على أن الله تعالى عرف نفسه بنفسه إلى الخلق منها قوله تعالى:

---

(١) الديلمى، الفردوس بمأثور الخطاب، جـ٢، ص٥٦.

(٢) السيوطى، الجامع الصغير، جـ١، ص١٣٢. رواة الحديث كثيرون كما ذكر الحسينى في إتحاف السادة بهذا كسب قوة فى أسانيده، والله أعلم.

(٣) السيوطى، المصدر السابق، جـ١، ص١٣٢.

(٤) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٥٩٥.

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا أنا فاعبدون ﴾[(١)].

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [(٢)].

﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ﴾ [(٣)].

وقال تعالى:

﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [(٤)].

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [(٥)].

﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [(٦)]. وغيرها كثيرة من الآيات التى تدل على أن الله قد عرف الإنسان نفسه بنفسه بإرسال الأنبياء والرسل إلى الخلق وعرفهم بأن خالقهم هو الله تعالى خلقهم من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم وأن أكرمهم عنده هو أتقاهم. بالاضافة إلى ذلك عرفهم بأن هناك مجالات لهم إذا أرادوا أن يتفكروا فى عظمة الله تعالى فى قدرته وإرادته هى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر والماء الذى نزل من السماء وإحياء الأرض بعد موتها وغيرها من الآيات التى اذا نظر الانسان فيها يصل إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة.

(١) القرآن الكريم، الأنبياء، الآية ٢٥.
(٢) نفس المصدر، نفس السورة، الآية ٩٢.
(٣) نفس المصدر، طه، الآية ١٤
(٤) نفس المصدر، الأعراف، الآية ١٤.
(٥) نفس المصدر، الحجرات، الآية ١٣.
(٦) نفس المصدر، البقرة، الآية ١٦٤.

(**فرد لا مثل له**): (الفرد) معناه المنفرد المتوحد. ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين** ﴾ [١]، الفرد من الناس وغيرهم: المنقطع النظير الذي لا مثيل له في جودته [٢]، قال الجرجاني في تعريفاته: ما يتناول شيئا واحداً دون غيره [٣]، ويطلق الفرد في أوصافه تعالى ويراد به أنه يخالف الأشياء كلها في الازدواج المنبه عليه بقوله: ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ﴾ [٤]، وقيل هو لمستغنى عن كل شيء المنبه عليه بقوله: ﴿ **إنّ الله لغني عن العالمين** ﴾ [٥]. ويبدو المعنى اللغوي الذي ذكره المعجم الوسيط مناسبًا أكثر وهو: الفرد هو المنقطع النظير الذي لا مثيل له، أشارت إلى هذا المعنى الآية الكريمة: ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [٦]. قال أبو منصور البغدادي: قد أجمعت الأمة على اطلاق اسم الفرد على الله تعالى وخالفهم عباد بن سليمان الصميري من المعتزلة فإنه زعم أنه لا يجوز تسميته تعالى به وقال إنما يصح اطلاق لفظ الفرد على الواحد الذي يجوز أن يكون له زوج لأنهم يقولون في العدد فرد وزوج. وقد أجمعت الأمة قبل ظهور عباد على إطلاق هذا الاسم عليه تعالى في قولهم: يا واحد يا فرد، فلا اعتبار بخلاف المبتدع الضال لأهل الإجماع مع صحة معناه فيه لأن الفرد هو الذي لا يتنصف والله سبحانه وتعالى ليس له نصف ولا شيء من الأجزاء والأبعاض، ويلزم على قوله المتقدم أن لا يسموا الإله واحداً لأن الحُسَّابَ قرنوا الواحد بالاثنين وأكثر منه فقالوا: واحد واثنان كما قالوا: فرد وزوج [٧].

(**صمد لا ضد له**): (الصمد) في اللغة المقصود: لقضاء الحاجات [٨]، قال الغزالي: الصمد هو الذي يصمد إليه في الحوائج ويقصد إليه في الرغائب

(١) القرآن الكريم، الأنبياء، الآية ٨٩.
(٢) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٦٨٠.
(٣) الجرجاني، المصدر السابق، ص١٦٦.
(٤) القرآن الكريم، الذاريات، الآية ٤٩.
(٥) نفس المصدر، العنكبوت، الآية ٦.
(٦) نفس المصدر، الشورى، الآية ١١.
(٧) الحسيني، المصدر السابق، ص٢٠.
(٨) المعجم الوسيط، جـ١، ص ٥٢٣.

إذ ينتهى إليه منتهى السؤدد، ومن جعله الله تعالى مقصد عباده فى مهمات دينهم ودنياهم وأجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد أنعم عليه بحظ من معنى هذا الوصف ولكن الصمد المطلق هو الذى يصمد إليه فى جميع الحوائج وهو الله تعالى [(١)]، (الضد) هو النظير والكفء والجمع أضداد وقال أبو عمرو: الضد مثل الشيء والضد خلافه [(٢)]، والمعنى المراد هنا هو المثل والنظير، فالله هو الصمد المطلق الذى لا مثل له ولا نظير أو بعبارة أخرى نقول: الله تعالى منقطع النظير فى الصمد إليه.

(**منفرد لا ند له**): الانفراد والتفرد والفردية شيء واحد وليس المطاوعة فى الانفراد مراد، هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها متفرد بالتاء الفوقية وهو الصحيح لأن المنفرد بالنون قد منع إطلاقه عليه سبحانه الامام أبو منصور البغدادى قال: وقد نطق الكتاب والسنة بأنه تعالى واحد وفى معناه المتوحد والمتفرد ولذلك قال أصحابنا إن الإله متفرد بالإلهية متوحد بالفردانية اهـ [(٣)]. (الند) بكسر النون المثل والنظير يقال: هو نده وهى ند فلانة وجمعه أنداد[(٤)]، وفى التنزيل العزيز: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ [(٥)].

(**وأنه واحد قديم لا أول له**): الواحد فى اللغة أول عدد الحساب وعند العلماء وعلماء الكلام خاصة الواحد من صفات الله تعالى معناه أنه لا ثانى له، ذو الوحدانية والتوحد. (والقديم) فى اللغة ما مضى على وجوده زمن طويل وجمعه قدماء وقدامى. وعند علماء الكلام: الموجود الذى ليس لوجوده ابتداء (صفة أو اسم من اسمائه تعالى)[(٦)]. قال الحسينى: اشتهر وصف البارى تعالى بالقديم فى عبارات المتكلمين ولم يرد فى شيء من القرآن والآثار الصحيحة وصفه تعالى به لكنه قد ورد فى بعض الأدعية وأحسبها مأثورة: يا قديم الإحسان، قاله الراغب، قلت «الحسينى»: قد

---

(١) الغزالى، المصدر السابق، ص١٢٦.
(٢) الفيومى، المصباح المنير، ص٣٥٩.
(٣) الحسينى، المصدر السابق، ص٢١.
(٤) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٩١٠.
(٥) القرآن الكريم، البقرة، الآية ٢٢.
(٦) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٧٢٠.

أجمعت الأمة على وصفه تعالى به [١]. وذكر أن القرآن دل على هذا الوصف فى قوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ [٢]. فالمعنى: أنه سبحانه واحد لا ثانى له فى ألوهيته وقديم لا ابتداء لوجوده.

(أزلى لا بداية له): الأزل : استمرار الوجود فى أزمنة مقدمة غير متناهية فى جانب الماضى، (والأزلى) ما ليس مسبوق بالعدم ويقال إن أصله يزلى منسوب إلى قولهم للقديم: لم يزل ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار فقالوا: يزلى، ثم أبدلت الياء ألفًا للخفة فقالوا: أزلى .. [٣]، والبداية بالكسر الابتداء وهى بالياء لغة الأنصار ولغة غيرهم البداءة بالهمز [٤].

(مستمر الوجود لا آخر له): (المستمر) من ستمر يقال استمر الشىء أو الرجل أى مضى على طريقة واحدة، يقال : هذه عادة مستمرة، ويقال: استمر الأمر: مضى ونفذ [٥]، (الوجود): ضد لعدم وهو ذهنى وخارجى [٦]، هذا المعنى ينطبق على وجود المخلوقات وليس على وجود الخالق لأنه لا يوصف بأنه خارجى أو ذهنى. قال الحسينى: الوجود صفة نفسية على المشهور ولا توصف بالوجود أى فى الخارج ولا بالعدم أى فى الذهن لأنها من جملة الأحوال عند القائل بها وهو زائد على الذات كما ذهب إليه الفخر الرازى والجمهور، وأما على القول بأنه عين الذات كم ذهب إليه الأشعرى فجعله صفة للذات نظرًا إلى أنها توصف به فى اللفظ فيقال ذات الله موجودة [٧].

(أبدىٌّ لا نهاية له): الأبد: الدهر جمعه آباد وأبود، ويقال: لا أفعل ذلك أبد الآبدين وأبد الآباد: مدى الدهر .. (والأبدى): ما لا آخر له [٨].

(قيوم لا انقطاع له): (القيوم) هو الذى قوامه بذاته وقوام كل شىء به وليس إلا الله تعالى [٩]، والقوام: قوام كل شىء، عماده ونظامه. والقوام ما

---

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٢١.
(٢) القرآن الكريم، الواقعة، الآية ٦٠.
(٣) الحسينى، المصدر السابق، ص٢٢.
(٤) نفس المكان.
(٥) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٨٦٢.
(٦) نفس المصدر، ص١٠١٣.
(٧) الحسينى، المصدر السابق، ص٢٢.
(٨) المعجم الوسيط، جـ١، ص ٢.
(٩) الغزالى، المصدر السابق، ص١٢٥ بتصرف.

يقيم الإنسان من القوت. وقوام الأمر: ما يقوم به وهو قوام أهل بيته: يقيم شأنهم [١]، (الانقطاع): من انقطع يقال: انقطع الكلام: وقف ولم يمض. فالله تعالى قيوم المخلوقات من يوم خلقها إلى ما شاء الله تعالى بمعنى يقيم شئون المخلوقات الظاهرة منها والباطنة بدون وقف لحظة لأنه تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم.

(دائم لا انصرام له): (الدائم): من دام يدوم دومًا ودوام واسم الفاعل دائم. وأصل الدوام السكون ويعبر به عن البقاء فيقال الدائم هو الباقي [٢]. (الانصرام): من انصرم أى انقطع ويقال: انصرم الليل أى ذهب، وانصرم الشتاء أى انقضى، فالانصرام هو الانقطاع. فالله تعالى يدوم أى يبقى فلا ينصرم أبدًا أى لا ينقطع سبحانه وتعالى.

(لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال): (لم يزل): إشارة إلى القدم، ولا يزال إشارة إلى البقاء، (وموصوفا بنعوت الجلال): إشارة إلى الصفات السلبية وهى القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه تعالى بنفسه أى لا يفتقر إلى محل ولا مخصص، والوحدانية أى لا ثانى له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله [٣]، والصفات السلبية معناها سلب ما يستحيل ويمتنع فى الله تعالى لِقُدُّوسيته تعالى.

(لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال): (لا يقضى عليه) أى لا يحكم عليه (بالانقضاء): أى الفناء والانقطاع، ولا يحكم عليه (بالانفصال): أى الانقطاع، (بتصرم الآباد): أى بتقطعها (وانقراض الآجال): أى انقطاع الأوقات المحددة لانتهاء الشيء أو حلوله.

(١) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٧٦٨.

(٢) الحسينى، المصدر السابق، ص٢٣، لدام معانى كثيرة: ثبت وأقام ودار وتحرك وسكن وركد، ووقف، وتبع، وتتابع، وغيرها.

(٣) أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسى الحسينى، أم البراهين في العقائد، في مجموع مهمات المتون، ص٣ و ٤.

(**بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**) : (بل) أداة تدخل على المفرد والجملة، ومثالها في المفرد ما على شاعر بل خطيب، ومثالها في الجملة النص المذكور، وإذا دخلت على الجملة فتفيد حينًا إبطال المعنى الذي قبلها والرد عليه بما بعدها وتفيد حينًا الانتقال من معنى إلى معنى آخر هو في الغالب أهم في تقدير المراد. والإفادة المطلوبة هنا هي الأولى.

(هو الأول) السابق على سائر الموجودات من حيث إنه موجدها ومحدثها، (والآخر) بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها، أو هو الأول الذي تبتدأ منه الأسباب وتنتهي اليه المسببات..

(والظاهر والباطن) الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب على كل شيء والعالم باطنه...[1].

(وهو بكل شيء عليم) يستوى عنده الظاهر والخفي، الكبير والصغير، البعيد والقريب في الليل والنهار.

لقد اقتبس الغزالي العبارة المذكورة من القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾**[2].

(**التنزيه**): من نزَّه ينزِّه تنزيهًا يقال: نزهه عن الشيء: أبعده عنه. يقال نزه نفسه عن الأقذار[3]. الأقذار جمع قذر: الوسخ. والمراد بالتنزيه هنا تبرئة الله عز وجل عما لا يليق بجلاله وقدسه من كل عيب ونقص ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان ....[4].

(**وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر**): أي والمعرف إياهم أنه تعالى ليس بجسم مصور، والمراد بالجسم ما له طول وعرض وعمق، قاله الراغب[5]، والمصور بفتح الواو اسم مفعول صوّر والمراد به مصوّر بحسن الصورة، (والجوهر) هو الجزء الذي لا ينقسم وهو أصل الشيء وهو ما

---

(١) البيضاوي، تفسير البيضاوي، جـ٤، ص١١٦. (٢) القرآن الكريم، الحديد، الآية ٣.

(٣) المعجم الوسيط، جـ٢، ص٩١٥. (٤) الحسيني، المصدر السابق، ص٢٣.

(٥) نفس المصدر، ص٢٤.

يتركب منه الجسم ، (والمحدود) الذى له حد يقف عنده وغاية ينتهى إليها، (والمقدر) الذى يدخل تحت التقدير.

(وانه لا يماثل الأجسام فى التقدير ولا فى قبول الأقسام): (يماثل) من ماثل الشىء: شابهه، فلا يماثل الأجسام أى لا يشابهها، لا فى التقدير بالطول والعرض والعمق ولا فى قبول الانقسام، والانقسام هو التجزء أجزاء كما شاهدناه فى أى جسم من الأجسام فالجسم يتجزأ إلى جزئين وأجزاء ثم أجزاء الأجزاء.

(وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض): ذكر الغزالى مرة ثانية بأنه تعالى ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، هذا ينفى كونه تعالى جوهر وفى نفس الوقت ينفى حلول الجواهر فيه ، وهو تعالى ليس بعرض ولا تحله الأعراض ، حل يحل حلولاً يقال: حل المكان وحل بالمكان أى نزل به، وحل البيت أى سكنه فهو حال.

(بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود، ليس كمثله شىء ولا هو مثل شىء): لا يشابه موجودا ولا يشابهه موجود والمراد بالموجود هو المخلوق، فلا يشابه موجوداً فى ذات الموجود وأفعاله وصفاته ولا يشابهه موجود فى ذاته وأفعاله وصفاته، وهذا أمر واضح لأنه تعالى هو خالق كل شىء فالفرق بين الخالق والمخلوق واضح، الخالق متصف بالكمال فى ذاته وأفعاله وصفاته والمخلوق متصف بالنقصان فى ذاته وأفعاله وصفاته.

(ليس كمثله شىء): الكاف فى مثله زائدة قاله الحسينى[1]، ولها عدة معان منها للتشبيه والتوكيد، والكاف هنا للتوكيد بالتقدير: ليس شىء مثله[2].

إذا كان الله تعالى ليس كمثله شىء فمن باب أولى أنه لا هو مثل شىء، ففى هذه العبارة ناحيتان فى النفى: ناحية الخلق وناحية المخلوق لقد نفى الغزالى المثل من الناحيتين.

---

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٢٤. (٢) المعجم لوسيط، جـ٢، ص٧٧١.

فرق الغزالى بين المثل والمثال فقال : فالمثل عبارة عن المساوى فى جميع الصفات، والمثال لا يحتاج فيه إلى المساواة[١]. بناء على هذا الفرق ذهب الى أن لله مثالاً قال: وليس لله تعالى مثل كما قال: ﴿ليس كمثله شىء﴾ ولكن له مثال، وقول النبى عليه الصلاة والسلام: إن الله خلق آدم على صورته [٢] إشارة إلى هذا المثال، فإنه لما كان تعالى وتقدس موجوداً قائماً بنفسه حيّاً سميعًا بصيرًا عالمًا قادرًا متكلمًا، فالإنسان كذلك ولو لم يكن الإنسان بهذه الأوصاف موصوفًا لم يعرف الله تعالى، ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه [٣]، فإذ كل ما لم يجد الإنسان له من نفسه مثالاً يعسر عليه التصديق به والإقرار. وقد أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : أيها الإنسان اعرف نفسك تعرف ربك. ولذلك لا يحيط علم الإنسان بأخص وصف الله تعالى لأنه ليس فى المبدعات والمخلوقات مثال وأنموذج من ذلك الوصف الخاص، وكذلك الاسم للوصف الخاص الذى له تعالى لأن الإنسان إنما يسمى الشيء بعد معرفته إياه، وإذا لم يكن للإنسان إليه طريق وأنموذج فلا علم به ولا اسم له عنده ولا علامة، فكيف يعرفه، فلذلك لا يعرف الله إلا الله، أعنى أخص وصفه وكنه معرفته [٤].

قد نفهم من هذا البيان أن الغزالى ذهب إلى القول بالتشبيه كما قال المشبهة من الفرق الضالة المضلة وهم على صنفين: صنف شبّهوا ذات البارى بذات غيره وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى [٥].

(١) الغزالى، المضنون به على غير أهله (القصور العوالى جـ٢، ص١٢٩) لقد شك بعض الناس في صحة نسبة الكتاب إلي الغزالى، وبعد الاطلاع عليه يبدو أنه له بلا شك ولنا أدلة فى ذلك لا يتسع المكان لذكرها هنا. (٢) مسلم، صحيح مسلم، جـ٨، ص٣٢.
(٣) لم يتفق العلماء على كونه حديثًا، وقد ذكر السيوطي في الحاوي للفتاوى، جـ٢، ص٢٣٨ إلى ٢٤١.
(٤) الغزالى، المصدر السابق، ص١٣٥. (٥) البغدادى الفرق بين الفرق، ص٢٢٥.

لقد فكر الغزالى فى هذا الموضوع وقد أعد للسائل عنه إجابة فقال: فمن قال إن الإنسان حى عالم قادر سميع بصير متكام والله تعالى كذلك لا يكون هذا القائل مشبها فإن التشبيه إثبات المشاركة فى الوصف الأخص، ومن قال إن السواد عرض موجود وهو لون والبياض عرض موجود وهو لون لا يكون مشبها السواد بالبياض، فإن الاشتراك فى اللونية والعرضية والوجودية لا يكون تشبيها بينهما، ولذلك لا تماثل بين السواد والبياض مع اشتراكها فى اللونية والعرضية والوجودية. فالمثال فى حق الله سائغ جائز والمثل مستحيل[١]. وقال: فالمثال فى حق الله تعالى جائز والمثل باطل فإن المثال هو ما يوضح الشيء والمثل ما يشابه الشيء[٢]، وقال: من ظن استحالة المثال فى حق الله تعالى أخطأ، بل نضرب لله تعالى ولصفاته الأمثال وننزهه عن المثل ولا ننزهه عن المثال ولله المثل الأعلى[٣].

(وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأراضون ولا السموات): حد يحد حدًا يقال: حد الشيء أى وضع فاصلاً بينه وبين ما يجاوره، (المقدار): مقدار الشيء: مثله فى العدد أو الكيل أو الوزن أو المساحة وجمعه مقادير، حوى يحوى حواية يقال: حوى الشيء: استولى عليه وملكه، (الأقطار) جمع قطر بضم القاف معناه الناحية، أحاط يحيط إحاطة يقال أحاط بالأمر: أدركه من جميع نواحيه، اكتنف فلانًا: جعله فى كنفه واكتنفه أحاط به. والمعنى أنه تعالى لا يقدَّر بالمقدار ولا تملكه النواح ولا تدركه الجهات ولا تقله أرض وتظله سماء.

(وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكين والحلول والانتقال): مستوى اسم فاعل استوى يستوى استواء يقال: استوى على كذا أو فوقه: علا وصعد،

---

(١) الغزالى، المصدر السابق، ص١٣٦.   (٢) نفس المصدر، ص١٣١.

(٣) نفس المصدر، ص ١٣٢. تحدث الغزالي في هذا الموضوع في كتابه المقصد الأسنى ص٣٨-٤٠.

(العـرش): الملك وسرير الملك ، بـالمعنى الذى راده، لأن الإنسان لا يقـدر قدره تـعالى ولن يقـدر فكذلك هذا الاسـتـواء فأسلم الطريق أن نفـوض هذا الأمر إليه سبحانه، (المماسة) من ماسه : لمسه فالماسة: اللمس، (الاستقرار) من اسـتقـر بالمكان: تمكن وسـكن، (والتمكن) مـن تمكن المكان وتمكن به: استقر فيه،(والحلول) من حلّ المكان أو به يحل بضم الحاء وكسرها -حلولا: نزل به وحل البيت: سكنه فـهو حال، (والانتـقال) من انتقل ينتقل انتـقالا: تحـول من مكان إلى آخر. هذه الكلـمات كلهـا تدل على استـواء الأجسـام بالأجسام فهى بعيدة كل البعد عن استواء الله تعالى.

(لا يحمله العرش بل العرش وحملته مـحمواون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسمـاء وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربًا إلى العـرش والسماء كما لا تزيده بعدًا عن الأوض والثرى):

لا جسم أعلى من العرش ذكر ابن كثيـر أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة كـانوا ثمانية [١] كما قـال تعالى: **﴿ويحمل عرش ربـك فوقهم يومئذ ثمانية﴾** [٢]. هذا العرش لا شك أنه جسـم كبير يدل على ذلك كـثرة حملتـه فهم اليوم أربعـة وفى الآخرة هم ثمـانيا ولا نقدر قـدرهم ولا يقدر قدرهم إلا خالقهم سبحانه وتعـالى، هذا الجسم الكبير الذى لا نقدر قدره لا يحمل خـالقه سبحـانه بل العرش يحمله الله القـادر ويحمل سبـحانه هؤلاء الحملة الأربعة بلطف قدرته الباهرة ويقهرهم فى قبضته القاهرة.

وهو تعالى فوق العرش والسماء وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى، التخوم بضم التاء والخاء وسكون الواو وهو جمع التـخم بضم التاء وفتح الخاء معناه الحد الفـاصل بين أرضين أو المعالم يهتـدى بها فى الطريق [٣]. هذه العبارة تشيـر إلى أن لفظ الفوق لا تدل على المـدلول الحسى وتشيـر إلى هذا المعنى الجـملة التى جاءت بعـدها وهى قـوله : فوقـيـة لا تزيده قربًا إلى العـرش

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، جـ٤، ص٧٢. (٢) ا لقرآن الكريم، الحاقة، الآية١٧.
(٣) المعجم الوسيط، جـ١، ص٨٣.

والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى.

(بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى): والرفعة العلو يقال: هو رفيع القدر أى عالى المنزلة والشرف والدرجات جمع درجة والمراد بها المرتبة المعنوية. أشار المؤلف بهذه العبارة إلى قدره تعالى وذكر العرش والسماء والأرض والثرى لتقريب المعنى إلى الفهم وهذا نوع المثال الذى نحتاج إليه فى مثل هذا الموضوع.

(وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شىء شهيد): الله تعالى مع رفعة قدره وعلو منزلته قريب من كل موجود، وإطلاق لفظ القريب عليه تعالى وارد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب..**﴾ [1] ومعناه القرب على معنى العلم منه بعباده وبأحوالهم وهو أقرب إلى العبد وفى رواية العبيد من حبل الوريد، إطلاق الأقرب عليه ورد أيضًا فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ [2]، بمعنى أقرب اليه بالعلم من حبل الوريد، هذا مثل فى فرط القرب [3]، وحبل الوريد بين عرق الحلقوم والعلباوين وهو يلبض أبدًا وهو من الأوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم بل هى تجارى النفس بالحركات قاله الفراء كما فى المصباح. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ أى أعلم منه بنفسه [4].

(وهو على كل شىء شهيد) أى شاهد حاضر وحفيظ عالم لا يغيب عنه شىء فى السموات والأرض وما بينهما.

(إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام): (اذ) كلمة مبنية على السكون للتعليل، علل المؤلف ما قدمه من قرب الله تعالى

---

(١) القرآن الكريم، البقرة، الآية ١٨٦، لقد ورد لفظ القريب فى القرآن مرات.

(٢) نفس المصدر، ق، الآية ١٦، وهناك آية أخرى: ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾، الواقعة، الآية ٨٥.

(٣) الجمل (العجيلى)، المصدر السابق، جـ٤، ص١٩٢.

(٤) الحسينى، المصدر السابق، ص٢٥.

من عباده فهو قريب من العباد بالعلم والحلم والعناية والوقاية ليس قربه كقرب الأب من ابنه وكذلك ذاته تعالى لا تشابه ذات جسم من الأجسام التى تقاس بالمقاييس الجسمية من البعد والقرب . ولعبارة لا تستطيع أن تصور لنا حقيقة هذا القرب والأمثلة التى قدمت لا تبين ماهية القرب الإلهية فهى فوق تصور الإنسان.

(**وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء**): سبق أن ذكر المؤلف أنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض وهذا تنزيه بصفة خاصة ثم جاء بتنزيه عام بذكر لفظ "شىء" سواء كان هذا الشىء متصورا عند الإنسان أو غير متصور جسميًا كان أو غير جسمى ، فهو سبحانه ليس بحال ولا محل.

(**تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان**):(تعالى): ارتفع وعلا وتقدس سبحانه وتعالى (عن أن يحويه مكان ويحده زمان)، هذا تنزيه الله تعالى عن المكان والزمان لأنهما مخلوقان من مخلوقات الله تعالى فهو ليس فى مكان ولا فى زمان ، بل كان سبحانه موجودًا قبل أن خلقهما وهو سبحانه الآن على صفته الأولى لا يتغير أبدًا إلى أن يفنى المكان والزمان معا ويبقى وجه الرب ذو الجلال والإكرام.

(**وأنه بائن من خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته**): (البائن) من بان عن شىء: فارقه، فالله تعالى يفارق خلقه بصفاته العلية بمعنى أنه تعالى يختلف عن الخلق بصفاته الإلهيه ، بهذا أراد المؤلف أن ينزه الله تعالى عن التسوية وهى تسوية الخلق بالخالق ثم حاول أن يرد على أصحاب الحلول بقوله: ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته والمراد بالحلول أن يتصور بأن يقال أن الرب حل فى العبد أو العبد حل فى الرب- تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين .... (١).

(١) الغزالى، المقصد الأسنى، ص١٤٩.

(وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الأحداث ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال به وفى صفات كماله مستغنيًا عن زيادة الاستكمال): مقدس عن التغير من حال إلى حال لأن هذا من صفات الخلق فهو لا يتغير قبل الخلق وبعد الخلق يبقى كما هو عليه، ومنزه عن الانتقال من مكان إلى مكان كما هو شأن الخلق، ومنزه من أن تحله الحوادث وتعتريه العوارض والمراد به أن تصيبه الآفات، بل هو مستمر فى صفاته الكمالية بلا زوال لأنه منزه عنه وهو ليس فى حاجة إلى زيادة الاستكمال لأنه كامل فى ذاته وصفاته وأفعاله والذى لا يستغنى عن هذه الزيادة هو الناقص.

(وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإتمامًا للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم):

إن وجوده تعالى معلوم لمن يحاول أن يصل إليه بأدلة عقلية بالنظر فى المخلوقات كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى كثير من الآيات الكريمة منها قوله تعالى: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾** (١).

بهذا المنهج يصل الإنسان إلى أن هذه الأشياء لها خالق قد خلقها فليس بمعقول أن تكون موجودة بلا موجد وهو الله سبحانه وتعالى.

وذهب المؤلف إلى أن ذاته تعالى مرئى فى الآخرة بالأبصار وهذا النظر إلى وجهه الكريم أعظم نعم الله الكريم على عباده الصالحين، جعلنا الله تعالى منهم.

(الحياة والقدرة): بعد التنزيه تحدث الغزالى عن الحياة والقدرة وهما من صفات المعانى وهى سبع صفات : القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام. بدأ الغزالى حديثه عن هذه الصفات بذكر الصفتين

(١) القرآن الكريم، الغاشية، الآية ١٧-٢٠.

المذكورتين وهما الحياة والقدرة وقدم الحياة على القدرة لأن الأولى مقدمة على الثانية فى الوضع الطبيعى وأما فى حق الله تعالى فالأمر خلاف ذلك لأن حياته تعالى وقدرته أزليتان وأبديتان فلا فرق بين تقديم الحياة على القدرة أو تقديم القدرة على الحياة.

(وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت): والمعرف إياهم أنه تعالى (حى) بحياة أزلية وفى نفس الوقت أبدية، (قادر) على كل شىء بقدرة أزلية وأبدية وهو سبحانه القادر المطلق (جبار) ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار فى كل أحد ولا ينفذ فيه أحد مشيئته ولا يخرج أحد عن قبضته وتقصر الأيادى دون حمى حضرته. قال الزجاج: الجبار هو الذى جبر الخلق على ما أراده من أمره [1]، (قاهر) أى غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا يعتريه قصور: (اعتراه): عراه أى ألم به وأصابه، (والقصور) مصدر قصر يقصر قصورًا، يقال: قصر عن الأمر أى عجز وكف عنه فالقصور هو العجز ،(والعجز) هو الضعف.

(لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت): تأخذه أى تغلبه، السنة بكسر السين ما يتقدم النوم من الفتور مع بقاء الشعور وهى المسمى بالنعاس، والنوم حالة تعرض بسبب استرخاء أعضاء الدماغ من رطوبة الأبخرة المتصاعدة فتمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسًا [2]، وتقدم السنة على النوم يفيد المبالغة من حيث أن نفى السنة يدل على نفى النوم فنفيه ثانيا صريحا يفيد المبالغة أى لا تأخذه سنة فضلا أن يأخذه نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت: يعارضه أى يقاومه، هو سبحانه لا يقاومه فناء ولا موت، يستحيل عليه اصابة القصور والعجز وأخذ السنة والنوم ومعارضة الفناء والموت.

(وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت، له السلطان والقهر والخلق

---

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٢٦. (٢) العجيلى (الجمل)، ص٢٠٦.

والأمر، والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته): (وأنه ذو الملك) أى عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية، (الملكوت) أى عالم الغيب المختص بأرواح النفوس، والمعنى أنه تعالى هو المالك حقيقة وكل مالك سواه فإنما يصير مالكًا لمملوكه بتمليك الله عز وجل من وجه مأذون فيه والله سبحانه وتعالى هو الذى أوجد ما أوجد وأعدم ما أعدم منها فمنه بدأ كل مملوك وإليه يعود، (والعزة) أى القوة والغلبة، (والجبروت) أى القهر، (وله السلطان) أى القوة، (والقهر) أى الغلبة، (والخلق) أى خلق المخلوقات، (والأمر) أى الحال والشأن والمراد بهما الأحوال كلها والأمور كلها ظاهرة وباطنة، (والسموات مطويات) أى ملفوفات، (بيمينه) أى بقدرته، (والخلائق مقهورون) أى مغلوبون (فى قبضته) أى قهره.

(وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدر ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته وتتناهى معلوماته): وأنه المنفرد وفى رواية المتفرد (بالخلق) أى لا خالق للخلق سواه، ولا مخترع له إلا هو وكذلك فى الإيجاد وهو الخلق مطلقًا، (والاختراع) هو الخلق لا على مثال سابق، (خلق الخلق) والإنسان خاصة والمخلوقات عامة، وأعمالهم لقوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1]، وقدر أرزاقهم من المأكل والمشرب والملبس والمسكن وغيرها من الاحتياجات الضرورية فى الحياة وقدر آجالهم والمفرد أجل، والأجل هو مدة الشيء أو الوقت الذى يحدد لانتهاء الشيء أو حلوله يقال: ضربت له أجلاً ويقال: جاء أجله إذا حان موته[2]. لا يشذ أى لايخرج عن قبضته القاهرة مقدور لكمال قهره، لا يعزب أى لا يغيب عن قدرته تصاريف الأمور أى تدبيراتها، لا تحصى مقدوراته لأنه قادر على كل شيء، ولا تتناهى معلوماته أى لا تدخل تحت العد والاحصاء لأنه وسع كل شيء علمًا.

(١) القرآن الكريم، الصافات، الآية ٩٦. (٢) المعجم الوسيط، جـ١، ص٧.

(**العلم**) من صفات المعانى كما تقدم ذكرها ، وهو المتعلق بكل واجب وكل مستحيل وكل جائز وهو صفة أزلية لها تعلق بالشيء على وجه الإحاطة به على ما هو عليه دون سبق خفاء.

(وأنه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بما يجرى فى تخوم الأرضين إلى أعلى السموات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء): أراد الغزالى بهذا النص أن يصور لنا صفة علمه تعالى الزلى بصورة واضحة وجامدة مانعة، لقد عجز الإنسان أن ينظر إلى النملة السوداء فى الليل فكيف يعلم دبيبها ولكن الله تعالى يعلم دبيب النملة السوداء التى تدب على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء. الصخرة: الحجر العظيم الصلب والصماء صفة الحجارة ومؤنث الأصم وهو الصلب المصمت. ثم جاء بمثال آخر أشار فيه إحاطة علمه تعالى بحركة الذر فى جو الهواء ولا علم للإنسان بعدد الذرات فى الهواء فلا علم له من باب أولى بحركاتها. هذا بالنسبة للمحسوسات وهناك أمور أدق من دبيب النملة السوداء وحركة الذر هى أعمال القلوب وحركات النفوس قال المؤلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

(ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر): اطلع على الشيء أى علمه ، هواجس جمع هاجس ومعناه الخاطر ، فمعنى هواجس الضمائر خوطرها وهى الأشياء التى وقعت فى الضمائر، والمراد بالخواطر هنا النفوس فمعنى حركات الخواطر هو حركات النفوس ، وخفيات السرائر أى أسرار القلوب، كل هذه الأشياء التى كتمها الإنسان فى أعماق قلبه يعلمها الله تعالى بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال ، لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال. فالله تعالى بعلمه القديم يعلم أدق الأشياء وأخفى الخفيات فى عالم المحسوسات وعالم المعنويات.

(**الإرادة**) من صفات المعانى كما من ذكرها، لقد وضح المؤلف إرادة الله

تعالى الأزلية وذكر (أنه تعالى مريد للكائنات، مدبر للحادثات) فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن): الإرادة من أراد يريد إرادة. قال الجرجانى: الررادة: صفة توجب للحى حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه وفى الحقيقة هى ما لا يتعلق دائمًا الا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمرًا لحصوله ووجوده، كما قال تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس الآية: ٨٢] (١) قال الحسينى: ويذكرها (الإرادة) المتأخرون مع القدرة لتعلقهما بجميع الممكنات دون الواجبات والمستحيلات، إلا أن جهة تعلقهما بالممكنات مختلفة، فالقدرة كما مر صفة أزلية تؤثر فى الممكن عند تعلقها به ايجادًا أو إعدامًا، والإرادة صفة أزلية تؤثر فى اختصاص أحد طرفى الممكن من وجود وعدم أوطول وقصر ونحوها بالوقوع بدلاً عن مقابله فصار تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة إذ لايوجد عز وجل من الممكنات أو يعدم بقدرته إلا ما أراد تعالى وجوده أو إعدامه (٢)، والغزالى وضع فى كتابه قواعد العقائد الصفات المعانية بتقديم الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام بناء على تفكير سليم لأن الحياة هى أصل جميع الصفات فلا قدرة إلا بالحياة ولا علم إلا بها ولا إرادة إلا بها ولا سمع ولا بصر ولا كلام إلا بها.

قال الغزالى: وأنه تعالى مريد أى مريد بارادة أزلية لإيجاد الكائنات من العدم والكائنات هى المخلوقات كلها التى قد خلقها الله تعالى والتى سيخلقها ومدبر للحادثات وهى الأشياء والأحوال التى تجد وتحدث فى الملك أى فى العالم السفلى والملكوت أى فى العالم العلوى، كلها تجرى بقضاء الله تعالى وقدره أى بعلمه الأزلى الأشياء على ما هى عليه، هذا بقضائه وإيجاده إياها على ما يطابق العلم وهذا بقدره سبحانه. وتجرى كلها بحكمته أى بعلمه

(١) الجرجانى، المصدر السابق، ص١٦. (٢) الحسينى، المصدر السابق، ص٢٧ و ٢٨.

الواسع المحيط بجميع الكائنات الحسية والمعنوية وأسباب وأسرار خلقها، ومشيئته والمشيئة هي الإرادة فما شاء الله تعالى من وقوع حادث حدث وما لم يشأ من وقوع حادث لم يحدث ولا يحدث أو بعبارة المؤلف: فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(لا يخرج عن مشيئته- لفتة ناظر ولا فاتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته): لا يخرج شيء عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر أي مشيئته تعالى تحيط بالحادثات في جميع الأوقات والساعات والدقائق والثوان بلا فاصل ولا انقطاع، بل هو المبدئ أي يبدأ الخلق بإيجاده على غير مثل سابق، المعيد أي يعيد الخلق بعد إفنائه إياه كما كان قبل الفناء، الفعال لما يريد أي يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه أحد ولا يغلبه غالب فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة إلى ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل ما يريد. لا راد لحكمه وفي رواية لأمره أي لا دافع ولا له مانع ولا صارف لما قد حكم به حكمه فحكمه نافذ، ولا معقب لقضائه ى: متبع ل ولا مكرٍ بنقض والمعقب الذي يكر على الشيء ويتبعه لينظر ما فيه من الخلل لينقضه [1]: ولا مهرب لعبد من معصيته أي لا ملجأ ولا مفر إلا بتوفيق ورحمته، لذلك علمنا المولى سبحانه الدعاء الذي نردده مرات في كل يوم وليلة في الصلوات المكتوبة منها والمندوبة وهو قوله تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** [2]، لقد استجاب الله تعالى هذا الدعاء ووفق العبد الذي دعا به إلى ترك المعاصي وفعل ما أمر الله تعالى به وهذا معنى قول المؤلف: ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته.

(فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك): الفاء في قول

---

(١) الحسيني؛ المصدر السابق، ص٢٨

(٢) القرآن الكريم، الفاتحة، الآية ٦.

المؤلف: فلو للاستئناف ولو للتقدير، أراد الغزلي أن يبين أكثر أن مشيئته تعالى فوق كل مشيئة وأن اجتماع قوة الإنس والجن والملائكة والشياطين لا يؤثر فى شيء ولن يؤثر إلا بمشيئة الله تعالى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته، لم يزل كذلك موصوفًا بها مريدًا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أزله من غير تقدم ولا تأخر، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير): وفى رواية: وأن ارادته صفة أزلية له قائمة بذاته، فى جملة صفاته كالعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، لم يزل كذلك موصوفًا بها أى بالصفات المذكورة، مريدًا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى أزله من غير تقدم عن وقته ولا تأخر عنه، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير، دبر الأمور لا بترتيب أفكار، لأن ترتيب الأفكار من صفات لبشر ولا يوصف سبحانه وتعالى به فإنه عالم قبل الوقوع وحال الوقوع وبعد الوقوع، ولا تربص زمان والزمان من مخلوقاته والتربص بالزمان من صفات الخلق فلا يوصف سبحانه وتعالى به، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن بخلاف الإنسان الذى يشغله دائمًا شأن عن شأن ويدبر أموره بترتيب أفكاره وتربص زمانه.

(السمع والبصر) : وهما من صفات المعانى المعروفة المتعلقان بجميع الموجودات وشرح المؤلف الصفتين قائلاً: وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى، ولا يغيب عن بصره مرئى وإن دق، ولا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام): راد الغزالى أن يصف سمعه تعالى بصفات تليق بجلاله سبحانه وتخالف سمع الخلق فوصفه بأنه يسمع جميع المسموعات الظاهرة منها والخفية فلا فرق بينهما فى سمع الله تعالى، وكذلك المسموعات البعيدة منها والقريبة يسمع جميعها بلا فرق، ثم وصف بصر الله تعالى وذكر أنه يرى جميع المخلوقات سواء كانت فى النهار أو فى

الظلام، بعيدة كانت أو قريبة، كبيرة كانت، أوصغيرة من المحسوسات والمعنويات فى الملك والملكوت·

(وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ولا يغيب عن بصره مرئى وان دق، ولا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام) وأنه أى المعرف اياهم أنه سميع والسميع الذى سمع والبصير الذى يبصر ويشاهد ويرى، لا يعزب أى لا يغيب عن سمعه مسموع وإن خفى أى استتر حتى لو استتر وراء جدار حديد داخل غرفة محكمة فإنه يسمعه، ولا يغيب عن بصره مرئى وإن دق أى صغر بأى صورة من الصغر فإنه يراه، ولا يحجب سمعه بُعد أى لا يستر سمعه تعانى بعد والبعد هو اتساع المدى وضده القرب، ولا يدفع رؤيته ظلام أى لا يمنع رؤيته تعالى ظلام، يرى من غير حدقة وأجفان والحدقة هى السواد المستدير وسط العين والأجفان جمع جفن والجفن هو غطاء العين من أعلاها وأسفلها، ويسمع من غير أصمخة وآذان والأصمخة جمع صماخ وهو قناة الأذن التى تفضى إلى طبلة والآذان جمع أذن وهو عضو السمع عند الإنسان والحيوان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويبطش من بطش أى أخذ بعنف والجارحة هى عضو الإنسان العامل وجمعها جوارح، ويخلق بغير آلة والآلة هى الأداة وتنسب كل آله إلى القوة التى تحركها فيقال: الآلة البخارية والآلة الكهربائية وآلة التنبيه، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق- لقد صدق الله تعالى حيث قال: ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ (١)

(الكلام) من صفات المعانى وضع المؤلف هذه الصفة بعد الصفات الأخرى لأنها تابعة لما قبلها عند الإنسان، فالإنسان لا يتكلم إذا فقد السمع والبصر من الصغر لأنهما من أبواب المعلومات عند الإنسان، ويتكلم الإنسان اذا فقد البصر من الصغر وكذلك إذا فقد السمع ولكن هذه الحالة أصعب من فقد البصر واذا فرضنا أنه يتكلم فإنما يتكلم بالإشارة·

---

(١) القرآن الكريم، الشورى، الآية ١١.

وصف المؤلف كلام الله تعالى بأنه أزلى قديم قائم بذاته تعالى ليس بصوت ولا بحرف لا يشبه كلام الخلق

(وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أواصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان) : الله سبحانه يتكلم ويأمر وينهى ويعد ويتوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته تعالى وليس أمرًا عارضًا عليه كما حدث فى الإنسان الذى كلامه عارض عليه بلا شك، بهذا الفرق واضح بين كلام الخالق وكلام الخلق، لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء، الانسلال من انسل أى خرج خفية والمراد به حدوث الصوت من خروج الهواء ولولا الهواء لما خرج الصوت من الفم، والاصطكاك من اصطك أى صك معناه دفع بقوة، والأجرام جمع جرم أى جسد، وقد حدثت الأصوات من اصطكاك الأجرام والمعادن خاصة كما شاهدنا فى الحياة، ولا بحرف ينقطع بإطباق أو شفة أو تحريك لسان كلام الله ليس بحرف وكلام الإنسان مكون من حروف تنقطع اذا أطبق الإنسان شفتيه أى إذا أغلق فمه وتوقف عن الكلام أو تحريك لسان أي كلام الله تعالى ليس بصوت يحدث من تحريك اللسان ولولا هذا اللسان لم يتكلم الإنسان ولا يخرج منه صوت ولا يتكلم أبدًا.

(وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض): ذكر المؤلف أن التوراة والإنجيل والزبور كتب الله تعالى المنزلة على رسله عليهم السلام، والمراد بها الصحيحة لأن المتداولة بين اليهود والنصارى الآن غير صحيحة ولم يبق فى الأرض كتاب صحيح إلا القرآن

الكريم الذى أنزله الله تعالى على نبيه الكريم سيدنا محمد الأمين ﷺ وقد حفظ الله تعالى هذا الكتاب عن الانحراف والتغيير حيث قال: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [١].

وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وفى نسخة والصدور، وهذا أمر واضح بين المسلمين أنهم يقرؤن القرآن الكريم بألسنتهم كل يوم وليلة ويحفظونه فى قلوبهم ويكتبونه فى المصاحف، وأنه مع ذلك أى كونه مكتوبا ومقروءًا ومحفوظًا- قديم قائم بذات الله تعالى- لاتفاقهم على ذلك وهذا كله حق واجب الإيمان به، لأن القرآن يقال عليه "الكلام" فيقال على المعنى القائم بذاته عز شأنه المعبر عنه باللسان العربى المبين ، ومعنى الإضافة فى قولنا كلام الله تعالى إضافة الصفة إلى الموصوف كعلم الله والقرآن بهذا المعنى قديم قطعًا، ويقال على الكلام العربى المبين الدال على هذا المعنى القديم، ومعنى الإضافة على هذا التقدير هو معنى إضافة الفعل إلى الفاعل كخلق الله ورزقه وكلا الإطلاقين حقيقة على المختار خلافًا لمن زعم أنه حقيقة فى أحدهما مجاز فى الآخر [٢].

لا يقبل الانفصال أى لا يقبل إلا الانقطاع والافتراق بالانتقال إلى القلوب بأن يحفظه المسلمون فى قلوبهم وكذلك لا يقبل الانفصال والافتراق بكتابته وطبعه فى الأوراق بمعنى أن الكلام القديم الأزلى لا يتغير ويبقى كما هو بعد حفظه الحافظون فى قلوبهم وكتبه الكاتبون فى كتبهم، وقد سمع نبى الله موسى عليه السلام كلام الله تعالى بغير صوت ولا حرف لأنهما من صفات كلام الخلق، أراد المؤلف رحمه الله تعالى أن ينزه كلام الله تعالى عن الصوت والحرف وهما حادثان ومخلوقان لله تعالى ويبدو أن المراد بعبارته المذكورة أن الله تعالى بقدرته وإرادته وحكمته البالغة قد أوقع فى قلب نبيه سيدنا موسى عليه السلام المعانى التى أرادها أن يفهمها هذا النبى عليه السلام فوعاها، أو

(١) القرآن الكريم، الحجر، الآية ٩.

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٣١.

أنه سبحانه أسمع نبيه عليه السلام الصوت الذى يدل على كلامه تعالى وهذا قول بعض العلماء، ولكن المؤلف صرح بأن سيدنا موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير صوت ولا حرف وأتى بالمقارنة بقوله: كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض.

(وإذا كانت له هذه الصفات كان حيًا عالمًا قادرًا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلمًا بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات): أى إذا كانت هذه الصفات المذكورة وهى صفات المعانى المذكورة له سبحانه وتعالى فهذه تدل دلالة واضحة بأنه سبحانه حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام الأزليات، لا بمجرد الذات، قال العلامة الحسينى: أشار بذلك إلى أن صفات المعانى زائدة على الذات العلية بأن المعنى الذى يفهم من العلم أبلغ من القدرة الذى هو التمكن من الفعل أو الترك وكذا باقى صفات المعانى فإنها صفات ثابتة موجودة فى نفسها قديمة باقية بالذات العلية وهى كمالات ونقائضها نقائص والله منزه عن النقائص ولا يضرنا تعدد القديم حيث كان صفة للذات وانما الممنوع تعدد ذات قديمة . . . . ثم إن صفات المعانى ليست عين الذات ولا غير الذات لأنها لو كانت عينها لزم الاتحاد فى المفهوم بلا تفاوت أصلا، ولو كانت غيرها لزم الانفكاك بينهما، وأيضًا العينية بالاتحاد يلزم منها أن يكون العلم مثلاً سمعًا وقدرة والكلام بصرًا وهذا خبط عظيم [١].

(الأفعال) أى أفعال الله تعالى.

(وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكًا حتى

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٣١.

يكون تصرفه فيه ظلمًا) : وأنه سبحانه وتعالى قد أوجد أى موجود سواه من الموجودات الظاهرة منها والباطنة فى الملك والملكوت وليس هناك استثناء أبدا وبعبارة أخرى العالم كله حادث بإحداثه وفائض أى سائل من عدله على أحسن الوجوه وأكملهما وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم فى أفعاله والحكيم هو الذى وضع كل شىء موضعه فأصاب فى مراده على حسب قصده والحكمة هى وضع كل شىء موضعه، فجميع أفعال الله تعالى موضوعة فى مواضعها كما أرادها الله تعالى بحكمة بالغة لا يعلم حقيتها إلا الله سبحانه، فهو الحكيم الحق، فالإنسان أمام الخلق جرم صغير وإذا عجز عن فهم حكمة من حكم الله تعالى فى خلقه فليفوض الأمور كلها إليه سبحانه وليقل مثل ما قالت الملائكة: ﴿ **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ [(١)]، عادل فى أقضيته أى أن الله سبحانه عادل غير ظالم فى أقضيته أى أحكامه على عباده والأقضية جمع قضية وهى الحكم ، ولا يقاس عدله بعدل العباد أى لا يقدر عدله تعالى بعدل عباده، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره أى يتخيل فيه حدوث ظلم لأن الإنسان محاط بالعيوب من الأخطاء فى التفكير والنسيان وحب المال والجاه والحسد والحقد وغير ذلك من العيوب، والله تعالى منزه عن هذه الأمور كلها فلا يتصور منه ظلم وهو سبحانه غنى عن العالمين له ملك السموات والأرض بيده الأمور كلها، هذا معنى قول المؤلف: ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكًا حتى يكون تصرفه فيه ظلمًا .

(فكل ما سواه من انس وجن وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس : حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعًا وأنشأه بعد أن لم يكن شيئًا، إذ كان فى الأزل موجودًا وحده ولم يكن معه غيره، فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارًا لقدرته وتحقيقًا لما سبق من إرادته وحق فى الأزل من كلماته لا لافتقاره إليه وحاجته): بعد أن ذكر

(١) القرآن الكريم، البقرة، الآية ٣٢.

المؤلف أن كل موجود حادث بفعله تعالى وفائض من عدله، بين أسماء الموجودات العامة من الإنس والجن والشيطان والملك والسماء والأرض والحيوان والنبات والجوهر والعرض والمدرك والمحسوس، كلها حادثة اخترعها الله تعالى أى أوجدها بقدرته الباهرة بعد العدم المحض اختراعًا على غير مثال سابق ثم أكد ذلك بقوله: وأنشأه بعد أن لم يكن شيئًا وفى رواية: وأنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن شيئًا، إذ كان فى الأزل موجودًا وحده ولم يكن معه غيره أى كان الله تعالى فى الأزل بلا مخلوق لأنه لم يخلق بعدفأحدث الخلق بعد ذلك أى أبدع الله تعالى الخلق بعد ذلك الحال المذكور وهو كونه تعالى وحده ولم يكن معه غيره من الخلق إظهارًا لقدرته وتحقيقًا لما سبق من إرادته وحق فى الأزل من كلمته أى خلق الله ليظهر قدرته الباهرة ويحقق ما سبق من إرادته الأزلية وحق أى ثبت فى الأزل من كلمته، فعل ذلك لا لافتقاره إليه وحاجته أى لا يفتقر إلى الخلق فى شىء ولا يحتاج إليه وهو غنى عن العالمين

(وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع لا عن وجوب ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، له الفضل والإحسان والنعمة والامتنان، إذ كان قادرًا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب، ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن قبيحًا ولا ظلمًا): المتفضل اسم فاعل تفضل أى أحسن لقد تفضل الله تعالى على الخلق بالإيجاد والتكليف بمعنى أن الله تعالى خلق الخلق إحسانًا منه وفضلاً، وكذلك تكليفه سبحانه على العباد بامتثال أوامره وترك مناهيه إنما إحسان منه وفضل وليس عن وجوب فلا يجب على الله تعالى شىء عند أهل السنة والجماعة، وكون التكليف إحسانا منه تعالى إلى العباد من حيث جعلهم أهلا لأن يخاطبهم بالأمر والنهى[1]، ومتطول أى متفضل بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، أى إنعامه تعالى على العباد وإصلاحه لشئونهم فى الحياة الدنيا ويوم الآخرة ليس واجبًا عليه تعالى كما ذهب إليه المعتزلة وإنما هو تفضل محض منه سبحانه إلى

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٣٣.

العباد، له الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب. أى أن فضل الله تعالى وإحسانه على العباد واضح، بالإضافة إلى فضل الخلق والتكليف فى عدم الصب عليهم بأنواع من العذاب وعدم ابتلائهم بكثير من الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك أى إذا قدرنا أنه تعالى صب على العباد أنواعاً من العذاب وابتلاهم بضروب من الآلام والأوصاب، لكان منه سبحانه عدلاً محضاً ولم يكن قبيحاً وظلماً، لأنه خالقهم ومالكهم يتصرف فى ملكه وملكوته كيف يشاء ولا يسئل عما يفعل ولا يعترض عليه فى تدبيره وحكمه وجميع أفعاله وافق مراد العباد أو لم يوافق، مع ذلك القدرة على الصب والابتلاء ما فعل شيئاً فيه شقاء لعباده، بل دعاهم إلى السعادة فى الدارين وهداهم إلى الصراط المستقيم .. إنه أرحم الراحمين.

(وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم إذ لا يجب عليه فعل، ولا يتصور منه ظلم، ولا يجب لأحد عليه حق): وأنه تعالى يجازى عباده المؤمنين على فعل الطاعات بحكم الكرم المحض منه والوعد السابق كما ورد فى كتابه الكريم: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾** [(١)]، **﴿والذين آمنوا وعملوا لصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا﴾** [(٢)] وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى وعد الذين يعملون الصالحات ويتركون ما نهى الله عنه السعادة الأبدية فى الآخرة. فجزاء أعمال الحسنة بالحسنات من الله تعالى إنما هو كرم منه تعالى لعباده وليس استحقاقًا ولا لزومًا، إذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق لأن العباد مخلوقون له يملك حياتهم ومماتهم فأنى يكون للمخلوق حق على الخالق وأنى يكون للمملوك حق على المالك.

(وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على لسان أنبيائه لا

(١) القرآن الكريم، الزلزلة، الآية ٧.

(٢) نفس المصدر، النساء، الآية ٥٧.

بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به): ذهب المؤلف إلى أن لله تعالى حق الطاعات من العباد وهذا الحق وجب على الخلق بواسطة الأنبياء والرسل عليهم السلام وليس بالعقل فقط لأن العقل لا يستقل بإدراك الأمر والنهى من الله تعالى، لقد أرسل الله تعالى انبياءه ورسله عليهم السلام ليبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده إلى العباد، وإذا بلغوا هذه الأمور وأظهروا صدقهم بأنهم رسل الله تعالى إلى الخلق بالمعجزات، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به ثم العمل به بقلوب صافية مخلصة لله تعالى

(وأنه تعالى بعث النبى الأمى القرشى محمد ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشرعه الشرائع إلا ما قرر، وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع صحة الإيمان بشهادة التوحيد وهى: قول لا إله إلا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول وهى :محمد رسول الله ، فألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر به من الدنيا و الآخرة وفى رواية: فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة) : وأنه تعالى بعث أي أرسل النبى الأمى القرشى محمدًا ﷺ ،النبى هو إنسان خصه الله بسماع وحى ولم يؤمر بالتبليغ أى بتبليغ الوحى ، والرسول إنسان بعثه الله إلى خلقه ليبلغهم ما أوحى اليه من الأحكام الشرعية والرسالة هى الأمر بتبليغ الوحى والنبوة هى الاختصاص بالوحى، هذا عند من فرق بين النبى والرسول وبين النبوة والرسالة، الأمى منسوب إلى الأم لكونه لم يقرأو لم يكتب أو منسوب إلى أم القرى وهى مكة لولادته بها أو منسوب إلى أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ لأن علمه منه أو غير ذلك [١]، القرشى نسبة إلى قريش على غير قياس وهو لقب جده النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ومن لم يلده فليس بقرشى [٢]، واختلف فى اشتقاق هذه الكلمة على أوجه:

---

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٣٤.

(٢) نفس المكان.

١- أنهـا من التقـرش وهو التجـميع، سـمى بذلك لتجـمع العرب بـعد افتراقهم قال شاعرهم:

أبونا قريش كان يدعى مجمعا   به جمع الله القبائل من فهـــر

٢- أنها من القـرش وهو الكسب وكانت قريش تجارا يقـال: قرش يقرش أى اكتسب.

٣- أنها مـن التفتـيش يقال: قـرش(بتشـديد الراء) يقرش عـلى أى فتش على، وكانت قريش يفتشون على ذوى الخلات ليسدوا خلتهم قال الشاعر:

أيها الشامت المقرش عنا   عند عمرو فهل له إبقاء [١].

قوله : محمدًا هو اسم مفعول من التحـميد وهو المبالغة فى الحمد وذلك لأنه إذا بلغت خصال المرء النهاية وتكاملت فيه لمحاسن فهو محمد [٢]، ﷺ من الصلاة وهى طلب التعظيم لجانب الرسول ﷺ فى الدنيا والآخرة [٣]، ثم تكون بمعنى الرحمـة إذا كانت من الله تعالى، وإذا كـانت من الملائكة معناها الاستـغفار، وإذا كانت من المؤمـنين معناها الدعاء، بعـثه برسالته إلى كـافة العباد من العرب والعـجم من الجن والإنس، أشار المؤلف هذا القول إلى أن الرسـول ﷺ مبـعوث إلى الإنس والجن مـعًا، فنسخ الله تعـالى بشرعـه أو بشريعته أى دين الإسـلام الشرائع السابقة إلا ما قرر وفى نسـخة إلا ما قرره منها، فشريعة محمد ﷺ خالدة إلى يوم القيـامة وأما الشرائع السابقة فمؤقتة ومحدودة فى زمانها فقط، وفضله الله تعالى على سائر الأنبياء بجعل شريعته عامة لـلناس وجعله خاتم الأنبيـاء والمرسلين وجعل أمته أمـة وسطًا وجعلهم أكثر الناس دخولاً فى الجنة وجعله شفيعا لـلمذنبين من أمته يوم القيامة وغير ذلك من الفضائل التى لا تحصى، وجعله سيد البشر كما ورد فى الحديث عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيـامة ولا فخـر، وأنا أول شافع أو مشفع ولا فـخر

(١) العجيلى (الجمل)، المصدر السابق، جـ٤، ص٥٩١

(٢) الحسينى، المصدر السابق، ص٣٤.   (٣) الجرجانى، المصدر السابق، ص١٣٤.

ولواء الحمد بيدى يوم القيامة ولا فخر [١]، ومنع الله تعالى كمال إيمان واحد بنطق شهادة التوحيد وهى قول لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهى: محمد رسول الله، أى أن الناطق بشهادة أن لا اله الا الله لم يكن مسلما بعد ما لم ينطق بقية الشهادة وهى شهادة نبينا محمد صلى عليه وسلم بأنه رسول الله ﷺ، فألزم الخلق تصديقه أى فوجب على الخلق أن يصدقوا الرسول ﷺ فى جميع ما أخبر به من أمور الدارين.

إلى هنا قد تحدث المؤلف عن الإلهيات والنبوات وبعد ذلك يتحدث عن السمعيات من القبر وعذابه والميزان والصراط والحوض والجنة والنار فقال:

(وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن وفى رواية حتى يوقن بما أخبر عنه بعد الموت وفى رواية بما أخبر به بعد الموت، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويًا ذا روح وجسد، فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك،وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة القبر بعد الموت) : ذكر المؤلف أن من شرط قبول الإيمان أن يؤمن العبد بما أخبر به النبى ﷺ بعد الموت والمراد به: سؤال الملكين منكر ونكير وعرفهما المؤلف بأنهما شخصان مهيبان أى مخيفان هائلان أى فظان غليظان، يقعدان العبد فى قبره: سويًا تامًا ذا روح وجسد كامل الحواس، هذا من قدرة الله تعالى أن رجع إلى الجسد الروح فى القبر ليجيب العبد على سؤال الملكين، فيسألانه عن التوحيد أى توحيد الله تعالى والرسالة أى رسالة سيدنا محمد ﷺ ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك، واختلف فى اللغة التى تستعمل فى القبر، فقال بعض الناس: كل أحد بلسانه، وقال البعض الآخر بالسريانية وقال الآخرون: بالعربية، وهما فتانا القبر اللذان يمتحنان العبد بأنواع من الأسئلة، وسؤالهما أول فتنة للقبر بعد الموت، وهذا يدل على أن أحوال القبر مخيفة، **(وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما شاء)**: بعد ذلك على العبد أن يؤمن بوجود

---

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، جـ٢، ص١٤٤٠. الحديث رقم ٤٣٠٨.

عذاب القبر في الروح والجسد معًا، وأن يؤمن بأن هذا العذاب حق وحكم الله تعالى فيه عدل على الجسم والروح على ما يشاء إنه رب العباد وخالقهم ومالكهم.

(ويوقن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طباق وفى رواية مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل، وتطرح صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله تعالى، وتطرح صحايف السيئات فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعد لالله تعالى).

وأن يوقن بالميزان ذى الكفتين واللسان أى لا يقبل الله ايمان عبد حتى يوقن بالميزان أى بوجود الميزان يوم القيامة ووصف المؤلف بأن له الكفتين والكفة بكسر الكاف وفتح الفاء مع التشديد والمراد بها ما يجعل فيها الموزون أو ما يوزن به عند الوزن، وله لسان ولسان الميزان هو عود من المعدن يثبت عموديًا على أوسط العاتق وتتحرك معه ويستدل منه على توازن الكفتين[1]، ثم وصف حجمه أى صفة عظمه بأنه مثل طباق السموات والأرضين والطباق جمع طبق وطبقة وهذا يدل على أن هذا الميزان كبير جدًا فى حجمه، توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى والمراد هنا بالأعمال هى صحائف أعمال العباد كما ذهب إلى ذلك المؤلف. والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل، الصنج بفتح الصاد وسكون النون ومثاقيل جمع مثقال والذر ما يرى فى ضوء الشمس والخردل نبات عشبى يضرب به المثل فى الصغر، فليس هناك عمل صغير لا يدخل فى الوزن ولو كان مثل ذرة كما أشارت إلى هذا المعنى سورة الزلزلة الآية السابعة والثامنة، وتطرح صحائف الحسنات فى صورة حسنة أى تلقى هذه صحائف الأعمال فى صورة حسنة فى كفة النور، فالموزون عند المؤلف هو صحائف الأعمال خلافًا لمن قال إن الموزون هو الأعمال نفسها،

(١) المعجم الوسيط: جـ٢، ص٨٢٤.

فيثقل بها أو بصحائف الحسنات الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله تعالى، وتطرح أيضًا صحائف السيئات فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى.

(وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى فيهوى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار): ولا يقبل الله ايمان عبد حتى يؤمن بأن الصراط حق وهو عبارة عن جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر وهذا وصف تقريبى يدل على أن النجاة فى العبور لا تكون إلا برحمة الله تعالى، لا تثبت عليه أقدام الكافرين بل تزل عليه فيسقطون فى جهنم، بخلاف أقدام المؤمنين تثبت عليه بإذن الله تعالى فيعبرون الصراط بسلام ويدخلون الجنة دار السلام - نسأل الله الكريم أن يثبت أقدامنا على هذا الصراط حتى نمر عليه بسلام.

(وأن يؤمن بالحوض المورود: حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط ، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، عرضه السماء فيه ميزبان يصبان الكوثر): الإيمان بالحوض واجب أعده الله تعالى لأمة نبينا محمد ﷺ نعمه منه سبحانه إلى هذه الأمة وهذا من خصوصيات النبى ﷺ يوم القيامة ويتميز هذا الحوض بعدم الظمأ بعد شرب مائه يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد مرور الصراط، وصور لنا عرضه بأنه عرض السماء، وفى رواية: عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء [1]، فيه ميزبان يصبان الكوثر وفى رواية: يصبان فيه من الكوثر، الميزاب هو أنبوبة من الحديد ونحوه تركب جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع، فهذا يدل على أن ماء الحوض من الكوثر بواسطة الميزبين.

---

(١) نسخة دار إحياء التراث العربى، طبعت مع إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، جـ١، ص٣٩.

(ويؤمن بيوم الحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون، فيسأل من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبدعين وفى رواية المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الأعمال). والإيمان بيوم الحساب واجب لا يقبل إيمان العبد إلا إذا آمن به وتفاوت الناس فيه إلى مناقش فى الحساب، أى تباين يقال: تفاوت الرجلان أى تباينا فى الفضل واختلفا، فهناك تباين الخلق فى الحساب منهم من يحاسب حسابًا عسيرًا، أشار إلى هذا المؤلف بقوله: وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب، ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا أى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب ومنهم المبشرون بالجنة من الخلفاء الراشدين وهم المقربون . فيسأل من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة منهم نبى الله، نوح عليه السلام كما ورد فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك، يا رب فيقول هل بلغت؟، فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول من يشهد لك ؟، فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ الحديث[1] ويسأل الكافرين عن تكذيب المرسلين والمبتدعة عن السنة والمسلمين عن الأعمال.

(ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى) : الإيمان بإخراج الموحدين من النار واجب، وفى رواية بإخراج عصاة المؤمنين، العصاة جمع عاص وهم الموحدون الله تعالى ولا يشركون به شيئًا ولكنهم خرجوا أحيانًا عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وخالفوا الأوامر مع بقائهم فى الإسلام، فهم يدخلون النار فى مدة لا يعلمها إلا الله تعالى ثم يخرجون منها بفضل الله تعالى ويدخلهم الله تعالى الجنة برحمته. يخرجون من النار بعد الانتقام ، الانتقام مصدر انتقم يقال انتقم منه أى عاقبه، حتى لا يبقى فى جهنم موحد، والمراد بجهنم هنا

(١) البخارى، صحيح البخارى، جـ٥ ، ص١٥١

الطبقة العليا من النار وهى التى فيها العصاة من الموحدين وهذه الطبقة هى التى تخلى وأما ما عداها فلا تخلى من أهلها معذبين فيها تخليداً كتخليد أهل الجنة . .[١].

(ويؤمن بشفاعة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء، ثم سائر المسلمين كل على حسب جاهه ومنزلته، ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله تعالى، ولا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان).

الشفاعة حق ووجود الشفاعة من هؤلاء المذكورين حق والإيمان بها واجب، الشفاعة لغة الوسيلة والطلب وعرفًا سؤال الخير للغير[٢]، قال الجرجانى: الشفاعة هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب من الذى وقع الجناية فى حقه [٣]، فشفاعة الرسول ﷺ هى سؤال النبى ﷺ ربه سبحانه وتعالى أن يتجاوز ذنوب أمته يوم القيامة . لقد وعد الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم سيدنا محمداً ﷺ أن يعطيه حتى يرضى كما ورد فى القرآن الكريم: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**[٤]، قال الرازى رحمه الله تعالى علمنا أن هذه الآية دالة على الشفاعة فى حق المذنبين[٥]، وعن الباقر (الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين رضى الله عنهما: أهل القرآن يقولون: أرجى آية قوله: **﴿يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾** ، وأنا أهل البيت نقول: أرجى آية **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**، والله إنها الشفاعة ليعطاها فى أهل لا إله إلا الله حتى يقول: رضيت [٦]. والشفاعة متفاوتة على حسب مقام الشفيع ،منزلته عند الله تعالى، فالشفاعة الكبرى من الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ ثم شفاعة بقية الأنبيا، والمرسلين ثم شفاعة العلماء العاملين ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن ليس له شفيع يشفع له عند

(١) الحسينى، المصدر السابق، ص٤٠.
(٢) نفس المصدر، ص٤١.
(٣) الجرجانى، المصدر السابق، ص١٢٧.
(٤) القرآن الكريم، الضحى، الآية ٥.
(٥) الرازى، المصدر السابق، جـ٣١، ص٢١٣.
(٦) نفس المكان.

الله تعالى أخرجه الله تعالى من النار بكرمه، فلم يبق فى النار موحد ولم يبق فيها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان.

(**وأن يعتقد فضل الصحابة ورتبتهم وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ عليهم أجمعين، فكل ذلك مما وردت به السنة وشهدت الآثار**) : الاعتقاد بفضل الصحابة واجب وأن أفضلهم بعد النبى ﷺ: سيدنا أبو بكر الصديق ثم سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق ثم سيدنا عثمان بن عفان ذو النورين ثم سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وعلى العبد بعد ذلك أن يحسن الظن بجميع صحابة الرسول ﷺ ويثنى عليهم كما أثنى الله تعالى عليهم فى كتابه العزيز فى قوله: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم**﴾ [(١)]، وقد أثنى الرسول ﷺ على أصحابه فقال: خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - الحديث[(٢)]، وضع الإمام البخارى رحمه الله تعالى هذا الحديث فى باب فضل أصحاب النبى ﷺ ، والأحاديث الواردة فى فضل الصحابة رضى الله عنهم كثيرة ذكرها علماء الحديث فى كتبهم وفى مقدمتهم الإمام البخارى والامام مسلم رحمهما الله تعالى.

(**فمن اعتقد جميع ذلك موقنًا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال والبدعة**) : فمن اعتقد ذلك كله جملة وتفصيلاً موقنًا به كان من أهل الحق أى من أهل السنة، والجماعة من لفرقة الناجية يوم القيامة من عذاب الله تعالى ومن عصابة السنة، والعصابة هى الجماعة من الناس وغيرهم ، والسنة هى الطريقة أى طريقة النبى ﷺ وطريقة أصحابه رضى الله عنهم، وفارق رهط الضلال والرهط هو الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة

---

(١) القرآن الكريم، التوبة، الآية ١٠٠ .   (٢) البخارى، المصدر السابق، جـ٤ ، ص١٨٩ .

أو ما دون العشرة، وقيل إلى أربعين- والله أعلم ، والبدعة وفى رواية وحزب البدعة أى أنصارها، والبدعة هى ما خالفت السنة النبوية.

(فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين إنه أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين) :
بعد أن قدم الغزالى قواعد العقائد المذكورة على مذهب أهل السنة والجماعة ختم كتابه بالدعاء إلى الله تعالى سائلاً منه كمال اليقين والثبات فى الدين لنفسه ولجميع المسلمين إنه أرحم الراحمين ثم الصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين وصحابته المهديين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.

٢- البخارى، صحيح البخارى، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٣- ابن كثير ،تفسير ابن كثير ، بيروت ، دار الفكر،........

٤-البغدادى، الفرق بين الفرق، القاهرة ،مكتبة محمد على صبيح وأولاده،

٥-البيضاوى، تفسير البيضاوى ، بيروت، دار صادر.......

٦- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، بيروت، دار الفكر، ....

٧-الجرجانى، كتاب التعريف، سنغافوره، جده الحرمين........

٨- جميل صليبا الدكتور، المعجم الفلسفى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى ط١، ١٩٧٣.

٩- جميل صليبا الدكتور وكامل عياد، المنقذ من الضلال [تحقيق وتقديم]، بيروت، دار الأندلس ،ط ١٠، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٠- الحسينى، اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، بيروت، دار احياء التراث العربى.

١١-الديلمى، الفردوس بمأثور الخطاب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٦م.

١٢- الدرويش، اعراب القرآن الكريم وبيانه، بيروت، اليمامة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٣- الرازى، تفسير الرازى بيروت، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٤- السيوطى، الجامع الصغير، بيروت، دار الكتب العلمية، ...

١٥ السنوسى، أم البراهين فى العقائد طبع مع متون أخرى باسم مجموع مهمات المتون، القاهرة، مصطفى البابى الحلبى وأولاده، ط٤، ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م.

١٦- الشربينى [الخطيب]، مغنى المحتاج، بيروت، دار الفكر.........

١٧- الصاوى، تفسير الصاوى، بيروت، دار الفكر،.........

١٨- العراقى، المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار، القاهرة، عيسى البابى الحلبى وشركاه، طبع مع الاحياء.

١٩- العجيلى [الجمل]، الفتوحات الالهية، بيروت، دار الفكر،

٢٠- عبد الحمن بدوى الدكتور، مؤلفات الغزالى، الكويت، وكالة المطبوعات، ط٢، ١٩٧٧.

٢١- الغزالى، احياء علوم الدين ،القاهرة، عيسى البابى الحلبى،.........

٢٢- الغزالى، قواعد العقائد فى التوحيد [القصور العوالى، القاهرة، مكتبة الجندى.........].

٢٣- الغزالى، المضنون به على غير أهله [القصور العوالى، القاهرة، مكتبة الجندى ....].

٢٤- الفيومى، المصباح المنير، بيروت، دار الفكر،.........

٢٥- القرطبى، تفسير القرطبى [الجامع لأحكام القرآن]، ....

٢٦-مسلم، صحيح مسلم، بيروت، دار المعرفة.........

٢٧- المحلى والسيوطى، تفسير القرآن العظيم، سنغافوره- جده، الحرمين،.........

٢٨- المنجد، بيروت، دار المشرق، ط ٢٩، ....

٢٩- النوى، المجموع شرح المهذب، بيروت ، دار الفكر، . . . .

٣٠-النسفى، تفسير النسفى، بيروت، دار الفكر [طبع مع تفسير الخازن]، . . . .



دراسات وأبحاث

دراسات وأبحاث الدكتور السيد محمد عقيل بن علي المهدلي:

(١) فى أكاديمى اسلام جامعة ملاريا كوال لمبور:

١- دراسة فى نشأة التوصوف الاسـلامى وتطوره من القرن الأول الهجرى حتى القرن الخامس الهجرى- ١٩٨٧.

٢- دراسات فى الفلسفة الاسلامية- ١٩٨٧.

٣- دراسة فى التصوف الفلسفى الاسلامى-١٩٨٧.

٤-دراسة فى الطرق الصوفية-١٩٨٨.

٥- مدخل الى الفلسفة ١٩٨٨.

٦- مدخل الى التصوف الاسلامى-١٩٨٨.

٧-دراسة فى الفلسفة الاسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية- ١٩٨٩.

٨- مقدمة فى علم مقارنة الأديان- ١٩٨٩.

(٢) فى المعهد العالى للدراسات الاسلامية بروناى دار السلام:

٩- مقدمة فى العقيدة الاسلامية وعلم الكلام- ١٩٨٩.

١٠-تفسير بعض الآيات من سورة البقرة ١٩٨٩.

١١- تفسير بعض الآيات من سورة الأنفال- ١٩٩٠.

٢١- دراسة فى الالهيات الاسلامية-١٩٩٠

١٣- دراسة فى النبوات- ١٩٩١.

١٤- دراسة نصية فى كتاب قواعد العقائد فى التوحيد- ١٩٩١.

فهرس الموضوعات



رقم الايداع ٣٢٢٨٦ / ٩٦
والترقيم الدولى 977-5227-78-x